عشرة أيام

في تونس الخضراء

من جولاتي في ٩٨ دولة



تأليف

مسلم الدجيلي

١٩٨٠

عشرة أيام

في تونس الخضراء

من جولاتي في ٩٨ دولـــة

تأليف
مُسلم الدجيلي
١٩٨٠

الإهداء

إلى شبابنا الناهض !

تعرَّف على وطنك العربى الكبير ... !!

المقدمة

لكل شعب حياة تشخصها الحوادث يقضيها في ادوار كما يمر الحي بادوار العمر ، وهي حياته الذاتية التي تميزه عن غيره من الشعوب حسب السنن العمرانية والنواميس الكونية التي اودعها الباري جل ثناؤه لنظام هذا الكون . ولكل أمة تاريخ تختلف اهميته بأعتبار حظ تلك الامة ومشاركتها في أحداث المجتمع العام ، والمشاركة تكون على نسبة استعداد الامة ومواهبها وموقعها الجغرافي ، فحوادث العالم القديم أجمع كان يدور محورها على ضفاف البحر المتوسط منبع الاديان وأصل التاريخ وقد أنبتت سواحل هذا البحر عربا وفنيقيين ويونان وروم . واذا سرح الانسان ببصره في الخريطة يرى بين الاقاليم المحيطة بالبحر الابيض المتوسط بلادا صغيرة تقسم ذلك البحر الى نصفين وتشق حافاته مابين الشرق والغرب على السوية ، تبارك الله أحسن الخالقين وتلك الصغيرة هي «أفريقيا» قديما والقطر التونسي اليوم .

فهذه المنزلة الطبيعية جعلت تونس العربية من اول الدنيا مسلك الذاهبين ومورد الوافدين ومطمحا لامال الفاتحين . لهذا السبب كان لتاريخ تونس أهمية عظمى تتجلى في أبهى منظر للباحث عن أخبارها والمنقب عن آثارها .

من خلاصة

تاريخ تونس

السياحة في العالم

لقد اصبحت السياحة من الصناعات الهامة التي تساهم في تعزيز الدخل القومي للبلدان السياحية . أن في عراقنا الجديد ثروة سياحية عظيمة طبيعة خلابة وآثار مجيدة وشعب مضياف كريم ، وإن كل ما لدينا يغري السائح الاجنبي والعربي بزيارة هذه البلاد التي انبعثت منها المدنيات الاولى في التاريخ .

هناك في البلدان السياحية «عمال السياحه» فهم لولب حركه لايهدأ وبرامج حافلة لاتنتهي ، شكواهم شكوى المصطافين وراحتهم هي راحة السياح والمصطافين هؤلاء هم رجال السياحة في العالم أجمع .

اما أهم أعمال الدعاية لجلب أنظار السياح الخصها بما يأتي :

١ ـ حسن المعاملة :

خير دعاية للبلد فاذا لقى السائح في بلادنا معاملة حسنة في حله وترحاله ونحن أهل لذلك فانه خير حافز له علي العودة ثانية بل انه ينصح غيره بزيارة هذه البلاد ، ولاننسى بأن هذا لايكلفنا شيء في بلادنا ، فنحن اشتهرنا بحسن الاستقبال والترحاب وتعبيرنا «اهلا وسهلا» حلوة ولذيذة للسامع .

٢ ـ أهمية الفنادق في البـلاد السياحية :

تشكل الفنادق جسرا بين البلد السياحي والبلدان الاخرى والسائح يتطلب قبل كل شيء وأول كل شيء وأساس كل شـيء تأمين راحته وخدمته ، فاذا استطاعت الفنادق ان تؤمـن للسياح راحتهم بحيث يشعرون وكأنهم في بيوتهم ، عندئذ نكتفي بالقـول بان الفنادق تساهم مساهمة كبيرة في تنشيط الحركة السياحيـة في البلاد ٠ وليس من المبالغة في شيء اذا قلت بان في العالم السياحي عباقرة اختصاصيين في الصناعة الفندقيـة ومتخصصون في أدارة الفنـادق وأدارة المطـاعـم ٠

٣ ـ المعيشة في الاماكن السياحية وتخفيض اجور السياحة :

أن رخص وتوفير ما يحتاجه السائح تثمر عن حضور آلاف السياح ، فالوطن العربي بمجموعه يؤلف وحـدة سياحية تعتبر دون مبالغة من أغنى المشوقات السياحية في العالم ، فالاماكـن المقدسة والاثار التاريخية في قطرنا العـراقي وفي دمشق والاردن وتونس والمغرب ومصر وليبيا ولبنان تعتبر جنة الشـرق ، اذ لايمكن لسائح الى البلاد العربية بالشخوص الى بعلبك في لبنان أو الجامع الاموي وتدمر في الشام والاهرام في مصر ٠٠ بل يكـون برنامجه قائما على أساس زيارة بابل وطاق كسرى في العراق ٠٠ فالعراق ذو تاريخ حافل ، فليس في العالم اجمع منطقة سياحيـة

تضاهي في عظمه تاريخها وامجادها ونهريها دجلـــة والفـــرات وشطئيه الممرعة وتمرها وفواكهها ·

فعراقنا الجميل بنهضته العمرانية بعد ثورة السابع عشـر من تموز المباركة بقيادتها الحكيمة ·· يمتاز بامتداد جباله مـــن ايران الى تركية وقد أنشأت مصايف من الدرجة الاولى بعـــدة مناطق وعبدت الطرق في كافه شمالنا الحبيب لتيسير الوصـول اليها وقد هيئت بها كل المقومات الاساسية للسياحة والتي تسهل مقام المصطافين كالمياه العذبة الرقراقة والانارة الكهربائية والمساكن المريحة بارخص الاثمان ·· وحين تستقر عيناك على هذه الاشياء يطوف في ذهنك علـــى التو الصفاء والعذوبة والشوق والتلهف لقطرك العراقي وتدعو لثورة تموز وقادتها الميامين بالخير والتقدم ·

مَوقع القطر التونسي

تونس هي جزء من مجموعة جغرافية واسعة هي المغـــرب العربي الكبير ، وتتميز تضاريس ارضه بتجانس وتناسق ، ففي الشمال تشاهد تونس البحر الابيض المتوسط أو تونس الجبلية حيث ترتفع جبال (خمير) الكثيفه الغابات ، كذلك تشاهد سلسله جبال (الظهر) التي يبلغ ارتفاع بعضها الى ١٥٤٤ م ٠

أما الجهات الوسطى التي كانت قديما مراعي للقبائل فهي جهات شاسعه تكثر فيها الحلفاء ٠ وفي جنوب جبال (قفصه) تبدأ المنطقة الجنوبية الشبه صحراوية فيها الواحات والقرى البربريه ٠ وتمتاز الارض التونسيه باتساع واجهاتها البحرية شمالا وشرقا متأثره بالبحر الابيض المتوسط الذي يتوغل عميقا داخل البــلاد والذي يمتد الى مسافه ١٣٠٠ كم ٠

أما المناخ فهو معتدل شتاء حار صيفا مـــع فوارق قليلة في أختلاف درجات الحرارة اذ يتراوح معدلها بين ٨ـ١٥ درجة مئوية شتاء ، (٢٥ درجة) صيفا وهذا المناخ الممتاز والموقع الممتاز أضفى على البلاد صبغة سياحيـــة بشواطئها الرملية الذهبية الجميلة والتي تمتد الى مسافات بعيدة ٠

كانت تونس ولاتزال مركز التقاء اهم الطرقات البحرية ومركز الطرق البرية الكبرى عبر الصحراء والتي تربط مصر بالمغرب تاريخيا وجغرافيا ٠

نعود الى الوراء وبالتحديد تاريخ قبل الميلاد ، فقد سكنت تونس اقوام بربرية ، الا انه بتأسيس (قرطاج) عام ٨١٤ قبل الميلاد من قبل الاميرة الفنيقية (عليسه) التي دخلت تونس بدخولها التاريخ فلقد كانت قرطاج من بين المستعمرات الفنيقيه اقواها وأشهرها فلقد اصبحت القطب الرئيس لحضارة وضاءة اعتمدت على تجارة مزدهرة ، الا ان التوسع القرطاجي أثار غيره روما والتي كانت العلاقات بينهما طيلة عهد طويل ودية تحولت الى نزاعات مسلحه فكانت الحروب بينهما التي انتهت بانتصار روما وانهيار قرطاج وتدميرها من قبل جيش (شبيون ايمليان) سنه ١٤٦ قبل(١) الميلاد ٠

لقد تميز العصر الروماني آنذاك بانجازات كثيرة فانشأت مدن كبيرة مازالت آثارها تدل على عظمتها مثل (تيسدروس) و (سوفيطولا) و (هادرميت) اي حضرموت ، كذلك انشأت شبكات واسعة من الري ٠

---

(١) تاريخ تونس للاديب المؤرخ حسن حسيني

لقد امتد الاستعمار الروماني على تونس طيلة خمسة قرون أزدهرت فيه اقتصاديا وعمرانيا ، الا انه في أواسط القرن الثالث تفككت القوة الرومانية عندما تدفق (الوندال) (٢) على أفريقيا الشماليه ولم تستطيع الفيالق الرومانية أن تصدهم وذلك سنة ٤٣٠ ميلاديه وفرضت نفسها على تونس بواسطة بيزنطة وريثة روما التي سيطرت على البلاد أكثر من قرن ٠

وفي عام ٦٧٠ ميلادية تقدم الفاتحون العرب ناشرين الاسلام بقيادة عقبة بن نافع واستقروا في البلاد وهكذا تأسست (القيروان) أكبر رمز لاسلام المغرب ٠

أما في أثناء حكم الدولة الاغلبية من سنه ٨٠٠ـ٩٠٩م والفاطمية من سنه ٩٠٩ـ٩٧٣ شهدت تونس عهدا من الاستقرار السياسي والاقتصادي لانظير له وخلال قيام هاتين الدولتين كانت (القيروان) و (المهدية) مركز الاشعاع الديني والفني والثقافي فلقد بلغت تونس او ما تسمى سابقا «أفريقية» (٣) شأنا عظيما من الحضارة والثقافة ٠ الا ان خطرا كان يتهددها ففي القرن الحادي عشر ميلادية بادر الفاطميون من القاهرة بارسال قبائل كبيرة من

---

(٢) الوندال ـ امة المانية الاصل زحفت في القرن الرابع بعد الميلاد على اسبانيا وأستقرت بها ٠٠ !!

(٣) ـ أفريقيا ـ الاسم الاول لتونس ٠

من البدو على تونس للانتقام من اتباعهم (الزيريين) وتعرف تلك المرحله بفترة غزوات بني هلال فدمر البدو القيروان • واهم ما جاء به الهلاليون هو تعريبهم لافريقية باسم تونس •

أستمرت الفوضى في المغرب بعد غزوة بني هلال وأحتلالهم المناطق الساحلية الشرقية وأنتهت بحلول دوله الموحدين وأصلها من المغرب الاقصى وهي دينية النزعة الى حد كبير وبسرعة امتدت قوتها من أقصى المغرب الكبير الى ادناه تحت قيادة (عبدالمؤمن بن علي) من أكبر وجوه المغرب ودام حكم الموحدين من سنة ١١٥٩ـ١٢٣٠م وفي سنه ١٢٣٠م عين الموحدون واليا لهم على تونس هو (ابو حفص) مؤسس الدولة الحفصية وسرعان ما أستقلت عن الموحدين وبدأ عصر أطول دوله تونسية ، اذ استمرت أكثر من ثلاثة قرون ، ثم قدم الاتراك تونس بقيادة (سنان باشا) البلاد كمحررين من الاحتلال الاسباني كما ادعوا ، وطاب لهم المقام فيها بعد طرد الاسبان • ومن ذلك العهد اصبحت تونس جزء لايتجزأ من الامبراطورية العثمانية وكان يحكمها (والي) او ما يسميه التونسيون (داي) ينتخب من قبل مجلس الضباط واثناء عهد (حمودة باشا) عرفت البلاد استقرارا سياسيا واقتصاديا واصبحت وصاية (استنبول) صوريه اذ اصبحت السلطة الحقيقية بين ايدي الذي كان يتصرف بصفته رئيسا مستقلا مع الدول الاوربية • الا أنه تضارب مع مصلحة الاوربيين وخاصة مع مصالح فرنسا التي استولت على الجزائر عام ١٨٣٠م • ونتيجة لتبذير اموال الدوله بسبب تصرف (الداي) واتباعه وللمساعدات

الفرنسية الباهضة للبلاد وضعت فرنسا يدها علـــى الماليـــة التونسية ثم جاءت اتفاقية (باردو) عام ١٨٨١م واتفاقية (المرسي) لتحيل زمام السلطة الفعلية في تونس الى أيدي فرنسية وهكــذا دخلت تحت الحماية الفرنسية • وعلى هـــذا لم يصبر الشعب التونسي البطل على ضيم الاستعمار الفرنسي والذي خاض كفاحا طويلا تحت قيادة الرئيس المجاهد الحبيب بورقيبه ضد الاستعمار الفرنسي والـــذي تكلل بالنجاح الباهـــر بابرام (بروتوكـول الاستقلال التام يوم ٢٠ مايس ١٩٥٦ م والذي لاينسى هـــذا الحدث في تاريخ تونس المجاهدة • عند ذلك حلت مرحلـــة البناء السياسي واتخذ مجلس الامة الذي انتخبه الشعب دستورا جديدا قرر الاطاحة بنظام البايات وقيام الجمهوريه في ٢٥ تموز ١٩٥٧م وقد انتخب المجاهد الكبير الحبيب بورقيبه زعيم الحركه الوطنيه فانكبت الدولـــة التونسية الفتية علـــى تحقيق سياسة تنمية اقتصادية واجتماعية وهـــو ضمان مستوى عيش ادنى لكافـــة المواطنين،فبذل المواطنون اقصى جهد في مواصلة النمو الاقتصادي وبذلوا أقصى الجهود في احياء الاراضي وتنمية الصناعية •

يبلغ عدد سكان القطر التونسي خمسة ملايين ومساحتـــه ١٢٥٫٠٠٠ كم٢ ويعود اصلهم الى عدة عناصر هي :

١ ـ البربـــر •

٢ ـ فنيقيـــون •

٣ ـ روم •

٤ ـ عـــرب •

كذلك يوجد من مهاجري الاندلس والاتراك ومن الاوربيين فرنسيون وايطاليون ومالطيون ٠

البربر : ويعرفون باسم (الليبو) المشتق من صفة بلادهم ليبيا ، ولم يخلد التاريخ أثرا لامم البربر التي كانت تسكن أفريقية قبل مجيء الفنيقيين الا انهم كانوا قبائل منتشرة في البلاد لاحضارة لهم يعيشون عيشة بدائية وحياتهم في غاية البساطة ، فمساكنهم الاكواخ واشتغالهم الصيد وتربية المواشي وفلاحة الارض ٠

البربر عنصر قوي البنية موصوف بالصبر على مضاضة العيش وقد قسمهم العرب الى قسمين : هم (البتر) و (البرانس) وكل منهما يتجزأ الى قبائل وعشائر شتى مثل (لواته) القاطنين في (برقه) و (هواره) قرب طرابلس وبالقطر التونسي و (زناته) و (صنهاجه) في الجمهورية الجزائرية وكذلك (كتامه) في جبال زواره و (مصموده) و (مكناسه) و (يفرن) و (هنتاته) في المغرب ٠

للبربر(٤) لغة خاصة تعرف بالبربرية او (الشلحة) لم يزل يتكلم بها جانب كبير منهم ، أما في القطر التونسي فلم يبق

---

(٤) أن افريقش بن قيس بن صيفي احد ملوك التبابعه في اليمن غزا أفريقية واثخن في البربر وأن الذي سماهم بهذا الاسم (البربر) حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البربرة فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به ٠
(مقدمة بن خلدون) صفحة ١٢ ٠

لها أثر الا في الجهات الجنوبية مثل جزيرة (جربه) والتي سنتكلم عنها مفصلا وقسم من البربر يسكن في نواحي (مطماطه) وهـي لغه تخاطب ولاتكتب اذ ليس لها الان حروف مستعملة يكتب بها ٠

يقسم تاريخ القطر التونسي الـى أربعة أدوار هي الـدور القرطاجي والدور الروماني والدور البيزنطي والدور الاسـلامي واليك نبذه مختصرة عن كل دور من هذه الادوار ٠

الدور القرطاجي

القرطاجنيون هم البربر ولايعرف بالضبط متى وكيف تأسست قرطاجنه، فقد قيل ان أميرة فنيقية تدعى (عليسه) هاجرت من مدنية صور ونزلت بساحل افريقية بمن كان معها واشترت من البربر قطعة أرض وأسست بها قرية سماها الفنيقيون (القرية الحديثة) حرفها الرومان الى (قرطاجنه) وذلك سنه ٨٠٨ قبل الميلاد ولم تلبث حتى قويت شوكتها وسادت على بقيه المدن الفنيقية في أفريقية ٠

كانت الهيئة الحاكمة في قرطاجنة أشبه بجمهورية يدير شؤونها مجلس مركب من مائة عضو من التجار تحت رئاسة شيخين يجدد انتخابهما كل عام ، وكان جل اهتمام هذه الحكومة موجها نحو توسيع نطاق التجارة وتنمية ثروة القرطاجنيين وبسياستها هذه ارتكبت خطائين عظيمين هما :

١ ـ استخدامها جندا مأجورا لاغيرة له بالدفاع عن الوطن وكما نقول (مرتزقة) ٠

٢ ـ ظلمها وسوء معاملتها لمن كان خاضعا لحكمها من البربر وهذان السببان كانا السبب في انقراضها وسقوط دوله قرطاجنة بعد أن دامت أكثر من ستمائه عام ثم سيطر عليها الرومان بعد أن دمروها ٠

الدور الروماني

دام حكمهم من سنة ١٤٦ قبل الميلاد الى سنة ٤٣٠ ميلادية اعادوا بناء قرطاجنة وقسموا هذه البلاد الى قسمين كبيرين الاولى هي (افريقية) وتشمل القسم الشمالي من البلاد التونسية الان . ثم (نوميديا) وهي القسم الاوسط والجنوبي من القطر التونسي .

ان اول من سعى في توطيد الاستعمار الروماني هو (أغسطس) فقد أرسل ثلاثه الاف من قدماء المحاربين الرومانيين مغتصبا أراضي الاهالي بقصد استعمارها واستثمارها .

سقوط السلطة الرومانية :-

من قبائل البربر التي قطنت الجبال المنيعة والمحافظة على تقاليدها القومية ولغتها انبعثت منها الثورات العديدة في وجه الرومان فكانت احدى العوامل الكبرى في سقوط سلطتهم وكانت نتيجة هذه القلاقل والثورات اختلال شؤون الرومان وضعف نفوذهم حتى ان أحد ولاتهم في أفريقية وهو الكونت (بونيفاس) شق عصا الطاعة في وجه الرومان واستنجد (بالوندال) في اسبانيا فكان قدومهم الضربة القاضية على الرومان وسقوط دولتهم وسيطرتهم على البلاد .

الدور البيزنطي ـ الروم البيزنطيين

تأسست في جنوب الجهة الشرقية من اوربا وكانت قاعدتها «القسطنطينية» او (بيزنطة) وقد أطلق العرب على هـذه المملكة لفـظ (الروم) ٠

لقد كان اخر ملوك الوندال هو (جليمار) الذي جهز جيشا كبيرا من عشرين الف مقاتل تحملهم خمسمائة سفينة حربية تحت قيادة القائد المشهور (بليشار) لمحاربة الروم فبعد وقائع عديـدة تشتت شمل الحامية الوندالية وتمكن القائـد البيزنطي مـن الاستيلاء علـى افريقية ولم تكـد الحكومة البيزنطية تنصب على البلاد حتى نهض في وجهها زعماء البربر الا انهم اخمدوا بعد عنـاء طـويـل ٠

لقد عرفنا بان المسلك العظيم الذي سار عليه الروم بالولايات وما قاموا به من ابتزاز اموال البلاد باسهل الطـرق ، والتمتع

ـ الوندال ـ امه المانيه الاصل ـ زحفت في القرن الرابع بعـد الميلاد على اسبانيا واستقرت بها ٠

باللذات وهذا ما صهم عن الاهتمام بشؤون البلاد والنظر فيما يعود عليها بالنفع فكان هـذا السلوك مما يجبر الحكام علـى الاستخفاف بحقوق الرعيه مما آل في النهاية الى أختلال سياستهم واضطراب سلطانهم ، وهكذا كانت حاله الحكومه البيزنطية عندما ايقظها من غفلتها وزعزعتها من سباتها سلطان الاسلام فأنقرضت وسيطر المسلمون على أفريقية ·

الدور الاسلامي

سبق وأن تكلمنا عن انحطاط السلطه البيزنطية وما آلت اليه البلاد من انقسام كلمة الروم وضعف حكومتهم وتلاشي زمام الامور من أيديهم . ففي عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض) أمر عامله على مصر (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) التوجه الى أفريقية فقصدها بجيش تعداده عشرين الف من الصحابة والتابعين وبعد أن قطع الجيش مفارز (برقه) وطرابلس دخل القطر التونسي ونزل على «سبيطلة» (٥) حيث يقيم أحد عمال الروم وهو (جرجير) الذي تنصل عن طاعة حكومة قرطاجنة البيزنطية وادعى الاستقلال عنها ، نزل الجيش العربي على سبيطله عاصمة (جرجير) وقد تأهب للحرب وخرج يواجه الجيش العربي بمائه الف مقاتل من الروم والبربر والتقى الجيشان فنصر الله تعالى المسلمين وقتل جرجير بضربه عربية من يد (عبدالله بن زبير) وانهزم جيش العدو ودخل العرب سبيطله وانتشروا في الناحية الجنوبية وكل مكان . عند ذلك أسرع الروم والبربر الى طلب الصلح فارسل الجيش العربي الامير (عبدالله بن أبي سرح) للتفاوض وصالحهم على مقدار من

---

(٥) سبيطلة ـ مدينة كائنه في اواسط القطر التونسي ولم تزل آثارها الى الان .

المال يدفعونه له ، قيل انه كان ثلاثمائة قنطار(٦) من الذهب فدفعوه وقفل الجيش العربي راجعا الى مصر بعد أن مهد الفتح الحقيقي ٠

بعد وفاة الخليفة عثمان بن عفان (رض) وانتقال الخلافة الى علي بن أبي طالب (رض) وما آل عليه الحكم انذاك ٠٠استقر الحكم للدولة الاموية لمعاوية بن ابي سفيان فسير لغزو أفريقيه أعادة للغزو السالف وارسل جيشا يتألف من عشرة الاف مقاتل تحت قيادة (معاوية بن حديج) الكندي فقدمها سنه ٤٥ هجرية المصادفة لسنة ٦٦٥ ميلادية ٠٠ وعندما بلغ خبر وصول الجيش العربي قيصر الروم ارسل نجدة الى قرطاجنة على طريق البحر والتقى المسلمون بهم قرب (الجم) فهزموهم ثم بعث معاويه (عبدالله بن الزبير) الى سوسة ففتحها كما بعث (عبدالملك بن مروان) الى (جلولا) (٧) والى (بنزرت) ففتحهما بالقوة واستقر المسلمون بعدة اماكن من تونس (أفريقيه) وفي هذه المعركة استشهد الصحابي (أبو دمعة عبيدالله البلوي) ودفن في مقبرة القيروان حيث ضريحه الان ٠

---

(٦) القنطار ـ ذهبا يساوي ٨٤٠٠ دينار ٠
(٧) جلولا ـ اسم مدنيه كانت تبعد عن القيروان حوالي ٤٠كم وهي الان خراب ٠

رجع معاوية بن حديج الى مصر فجاء مكانه (عقبة بن نافع) وأول ما شرع به عند وصوله تأسيس مدينة القيروان(٨) واحاطها بسور وجعل في وسطها الجامع المنسوب الان اليه هو (جامع عقبة بن نافع الفهري) وبعد أن استقر أخذ يغزو الروم ويشرد البربر ٠

مات معاوية بن أبي سفيان وتولى يزيد ابنه الخلافة فرد عقبه بن نافع ثانيه الى أفريقية وذلك سنة ٦٨٢م فتدارك أمر القيروان بعد أن تداعى واستخلف عليها (زهير بن قيس البلوي) وخرج في جيشه الى المغرب ومهد الطريق له ثم سار الى (الزاب) فشتت امر البربر الى أن اذعنوا له ثم واصل السير حتى المغرب الاقصى ولم يصده عن تقدمه وفتوحاته الا المحيط الاطلسي ٠٠٠٠ فقد قيل بانه عندما وصل عقبة الى البحر أقحم فرسه ورفع يديه الى السماء ثم قال باعلى صوته (اللهم أشهد أني قد بلغت المجهود ولولا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لايعبد احد من دونك) ثم رجع الى أفريقية (تونس) ٠

اسلام البربر :ـ

مهد الفتح الاسلامي أمام ولاتهم واشتغلوا بتمهيد البلاد وكسر شوكة الثائرين في وجه الاسلام فلما استتب الامن في اقطار

---

(٨) القيروان ـ لفظ فارسي دخيل على العربية معناه محط الجيش او الثكنة كما نسميها اليوم ٠

المغرب انصرف الولاة لتأييد سلطانهم في البلاد على اساس الدين فحرصوا على ادخال البربر في الاسلام ونشر تعاليمه السمحه بين القبائل ، فباعتنائهم المتواصل يسر اتمام هذه المهمة والذي ساعد على ذلك الخليفة العادل (عمر بن عبدالعزيز) فان من ماثره الفاخره ترتيب عشرة فقهاء هم أشهر فضلاء هذه البعثة الدينية التي اوفدها الى أفريقيه واسفرت نتيجة مساعيهم عن تسارع الاهلين للانخراط في الدين الاسلامي ونبوغ كثير من أبنائهم في العلوم الدينية .

كتبنا بايجاز عن تاريخ القطر التونسي العربي الشقيق ، تونس الفردوس الخالد الذي عاش فيه الادباء والكتاب والمفكرين وبأرضه مرت ركب الحضارات ، ولم يغادره انسان ما وشهد بجماله ولطف سكانه وتمنى لو يبقى أبد الدهر فيها .

تونس بلاد زراعية بصفه عامة ولكنها تمتاز بوجود ثروة معدنية في اراضيها لها أهميه كبيرة وأهم هذه المعادن الفوسفات ويستخرج من منطقة (قفصه) واهم الحاصلات الزراعية هي الحنطة والشعير والكروم والزيتون والنخيل في جنوب البلاد . من الوهلة الاولى وأن تضع قدميك على ارض تونس الخضراء تشعر وكأنك قد وضعت قدميك على مشارق الجنة .. فتونس هي جنة الله تعالى في أرضه وتونس هي واحدة من العواصم النادرة التي تتسم فيها رائحة الماضي العريق وروعة الحاضر ، وتونس

البلد العربي الشقيق يجمع بين كل ما يمكن أن يرضي الجميع فلا أحد يشعر فيها بانه غريب . فكرم الضيافة وحسن الاستقبال يجعلك تشعر وكأنك تماما في بيتك وبين اهلك واصدقائك فهذه تونس الخضراء وهؤلاء هم اهلها الطيبون ، ولنعدد على سبيل المثال لا الحصر .. فالحضارات التي تعاقبت واحدة وراء الاخرى على أرض تونس لتعرف كم هو هذا البلد عريق وأصيل . ان تونس هي (بلد المثقفين) هكذا قال أحد المؤرخين المعروفين وبالطبع فأن المقصود من هذا القول هو الاشارة الى أهميه المخلفات التاريخيه التي تضمها الارض التونسية وعن القيمة الحضارية والعلمية والفنية لهذه الاثار .. فهذا مسجد عقبة بن نافع وهذا متحف بارود الذي نقل الحضارة والمعرفة عبر العصور وأن كانت عراقة الماضي في تونس هي الاصل والاساس ، فانها تونس الحديثة قد بنيت واستمدت أزدهارها وحضارتها الحديثة من صلب هذا الاساس المتين . لاشك فان الزائر الى تونس العربية سيكون من اليسير عليه أن يربط ما بين ماضيها الزاهر وحاضرها المتوثب بما هي عليه من نهضة وبناء وانتاج ويساهم فيها من مفارقات فريدة شائعة .

أما الطبيعة التونسية فلا يختلف على روعتها اثنان فمن جبالها الشاهقة حيث جبال (خمير) التي لاتضاهئ الى منخفضاتها وعيونها وارضها الخضراء السندسية الساحرة . أضف الى هذا المناخ الهادىء الصحي .. سهولة المواصلات فيها علاوة على توفر الخدمات السياحية العظيمة والتي تضاهي بلدان العالم ، كذلك حب أهلها للضيف ثم القناعة في كل شيء وهذه هي أهم

مميزات الشعب التونسي الشقيق ، فالعربي سيجد نفسه يحضى بكل المتع من حوله وهو لا يتكلف في ذلك كثيرا • أهلها أهـــل نشاط وشعور عجيب بالعزة القومية شأن كل ابناء العروبة ، وهم جميعا مؤدبون كريموا الطبع يزين ذلك وقار ورزانة جعلت لهـم مهابة وهم فخورون بهـا ••• !!

كم كان عجبي عندما كنت المس حركة النهوض في كل شيء وفي سرعة عجيبة ، طرق فسيحة وعمارات مشيدة بولغ في تنسيقها وفي كل مكان ••• الى متنزهات للشعب تفتح ابوابها دائمـــا والموسيقى تصدح فيها عند كل أصيل ، تزينها الابنية واحواض الماء المدرجة صفت حولها مقاعد فكنت ترى الجماهير وقد غص بها المكان • وكما يزيد اعجابي بهذا البلد العربي الناهض همة الدولة المدهشة التي تبذلها في ربط أطراف البلاد بالسكة الحديديـة في تلك الاراضي الجبلية الوعرة •

أما المرأة التونسية فهي والحق يقال بعيدة عـــن الخلاعة والاسراف والتزيين ، فهي تسير في وقار وحشمة واني امتـــدح فيهن الصفة العربية الطيبة • فالزوجة التونسية فاضلة لامحالة •

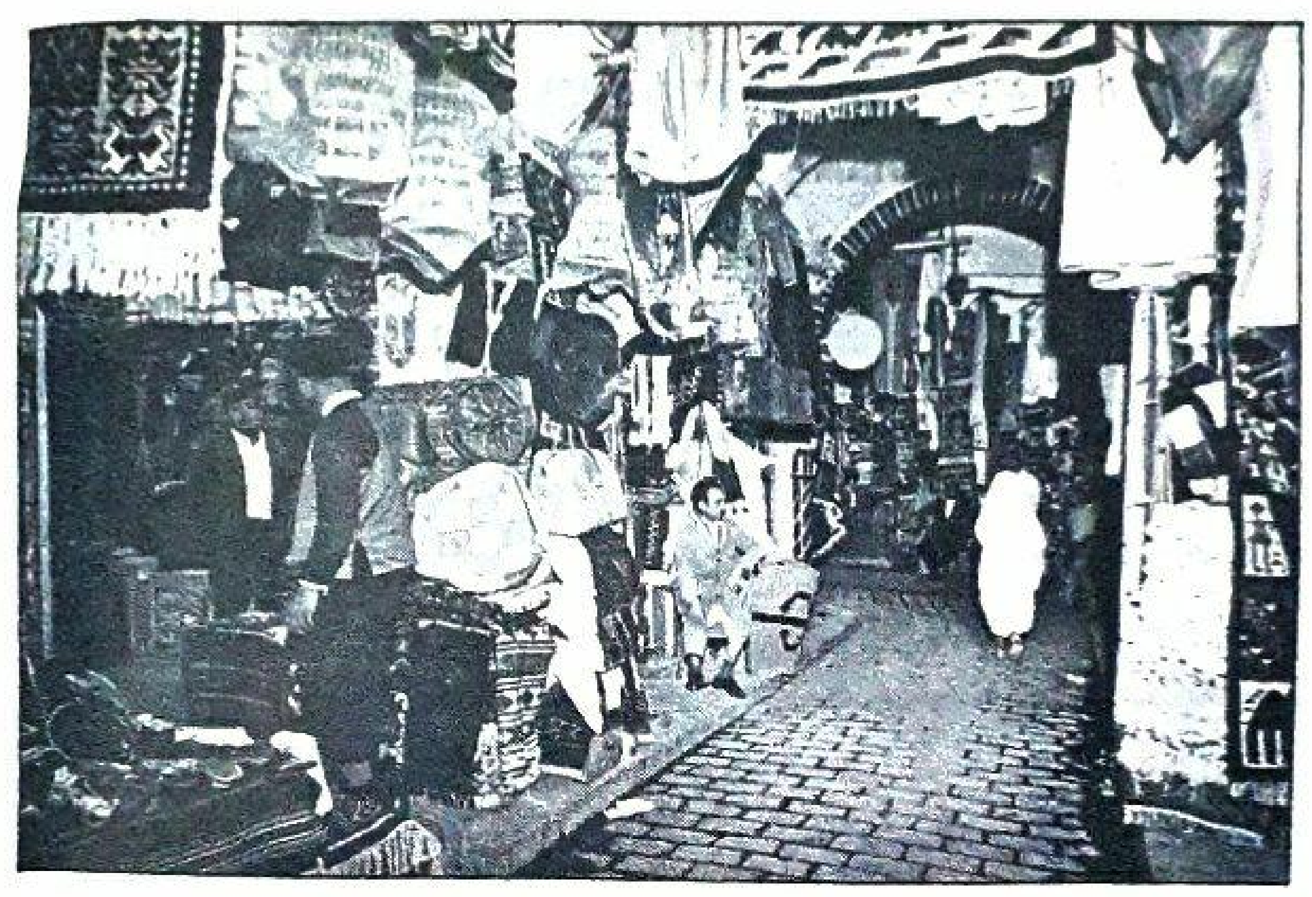
اما الرجل التونسي فهو عامل مجد صادق رزين • يسيرون في الشوارع وفي غير جلبة ولاضحك ففي اخلاقهم شيء كبير مـــن الاهميه • مؤدبون في الحديث ديمقراطيون في مجتمعهم ، يبتعدون عن المشاكل والاجرام كل البعد ، وهذه الاداب وهذه التربية يعود فضلها الى الجهود المبذولة بين البيت والدولة •• هـــذه صورة رسمتها في مخيلتي عـن البلد العربي الشقيق •

العاصمة تونس

يعود تاريخ نشأتها الى عصور موغلة في قدمها وما ان أشرفت طلائع الفتح الاسلامي حتى كانت قرية صغيرة اختارها الفاتح العظيم «حسان بن النعمان» وخلفاؤه من بعده مقرا للقوات الاسلامية ثم تحولت بعد ذلك الى قاعدة بحرية للفتح الاسلامي ثم تطورت حتى اصبحت عاصمة البلاد التونسية وذلك في نهاية القرن السابع للميلاد .

والان تعال معي أيها القاريء لنقوم بجولة حرة سيرا على الاقدام في الاحياء الغربية الحديثة من العاصمة حيث تشير بوضوح الى تأثيرات الغرب عليها من جميع النواحي وعلى العكس نجد الاحياء بالمدينة القديمة تنضح بعبير ورؤى الشرق القديم وتعج بسحره وصوره وعاداته ، فالمدينة القديمة هذه باسواقها المسقوفة المعروف «بالسوق الشعبي» والمتصلة الى ما لا نهاية له تملأ النفس بالسكينة وتثير الاهتمام البالغ بمفاجأتها المعمارية التاريخيه وبصورها الفولكلورية .

ومن أطرف ما في هذه المدينة والاحياء الشرقية أن المتجول فيها ينتقل فجأة من سوق لاخر وتنسلسل أمامه المشاهد الباهرة



السوق الشعبي

الاخاذه • فمن سوق يزخر بالتحف المعدنية في جامع الزيتون الى سوق القماش الذي يحتوي على كميات كبيرة من الحرير المطرز باسلاك الفضة والذي تستخدمه التونسيات عباءة واسمه (حايك مرمه) ثم تنتقل الى سوق العطارين الى سوق الصاغة الى سوق (البركة) الذي هو معقل الجواهرية وتحفهم النادرة ، كل ذلك وسط دفق زاخر من شميم العطور والعنبر ، وخلال هذه الجولة عبر مدينة تونس القديمة يمكنك ان تطلع على روائع العمارة التونسية العربية الاصيلة المتمثلة في مجموعة من القصور الفخمة والاثار النادرة المتمثلة في (جامع الزيتونة) الذي ينتصب

بمئذنته الشامخة في قلب المدينة في كبرياء، وشمم يأخذ بمجامع القلوب والذي يرجع تاريخه الى عام ٧٣٢ ميلادية والذي أسسه (عبدالله بن الحجاب) والي تونس من قبل الخليفة الاموي بدمشق الشـــام ٠

لقد كانت تونس قديما محاطة بسور تتخلله بوابات عديدة منها باب البحر والباب الجديد وباب البنات ، وباب سويقة وباب المنارة وباب الجزيرة ومازالت بعض هذه الابواب قائمة حتى اليوم، الا أن الاسوار ازيلت منذ زمن بعيـد ٠

أما المدينة العصرية فلقد أقيمت في أواخر القرن الماضي خارج باب البحر في منطقة شاسعة كانت فيما مضى مستنقعات تغمرها مياه البحر ٠ تخترق العاصمة عدة شوارع واسعة اكبرها واهمه شارع الحبيب (بورقيبه) وهو العمود الفقري لهذا الحي الحديث المتقاطع الشوارع بنظام بديع وفي كل يوم عند الاصيل يعج هـذا الشريان بافواج المتنزهين تحت اشجاره الوارفة وحدائقة الغنـاء وكازينوهاته الجميلة بين باعة الزهور الفواحة الذيـــن يملأون رحاب جزء من ذلك الشارع الطويل والذي تتفرع منـــه عشرات الشوارع منها شارع الحبيب ثامر وشارع باريس وشارع قرطاج ففي هذه الشوارع تعرض الصناعات التقليدية من نماذج مـــن الفن التونسي الاصيل مثل الزرابي (السجاد الشعبي) والجلـود



شـارع الحبيب بورقيبة

المدبوغة المزخرفة والخزف والحلى والنحاس المصنوع ، ومجموعة كبيرة من الاكسية والثياب الفاخرة نسائية ورجالية وولاديـة والمستوحاة من الفنون التقليدية وكافه الاسعار تضبطها الدولـة وتتولى مراقبتها بشدة وهناك تخفيض مقداره ١٠٪ بالمائة بالنسبة للذي يدفع ثمن مشترياته بالعملة الصعبة .

اما الضواحي العائدة والقريبة من العاصمة تونس هي :

١ ـ تونس العاصمة المركـز .

٢ ـ حلـق الوادي ٠
٣ ـ قرطـــاج ٠
٤ ـ سـيدي بوسعيد ٠
٥ ـ المرســي قمرط ٠
٦ ـ الضواحي الجنوبية ٠

حلـــق الـــوادي :ـ

لها موقع استراتيجي ممتاز يتحكم في مدخل القناة المؤديـة الى ميناء تونس فهذا الموقع المتاز بوأ هذه الضاحية للقيام بدور كبير في تاريخ الملاحة الحربية والمدنية ويقول التونسيون وعـدد مـن المؤرخين القدماء ان القائد العربي (حسان بن النعمان) هـو أول من شق القناة الموصلة والرابطة بين حلق الوادي وتونس ٠ وفي القرن السادس عشر للميلاد داهم الاسبان هذه المنطقة منطقة حلق الوادي وأحتلوها بقيادة ملكهم (شارل الخامس) الذي شيد بها قلعه حصينة ضخمة والتي تشاهد حتى اليوم بسورها العظيم، الا أن حمله تركية معاكسة انقضت على الغزاة الاسبان واجلتهـ عـن البـلاد ٠

وحلق الوادي اليوم هو اهم موانيء القطر التونسي وهـو فوق ذلك مصيف من الدرجه الاولى بكل شيء بالاضافة الـــى

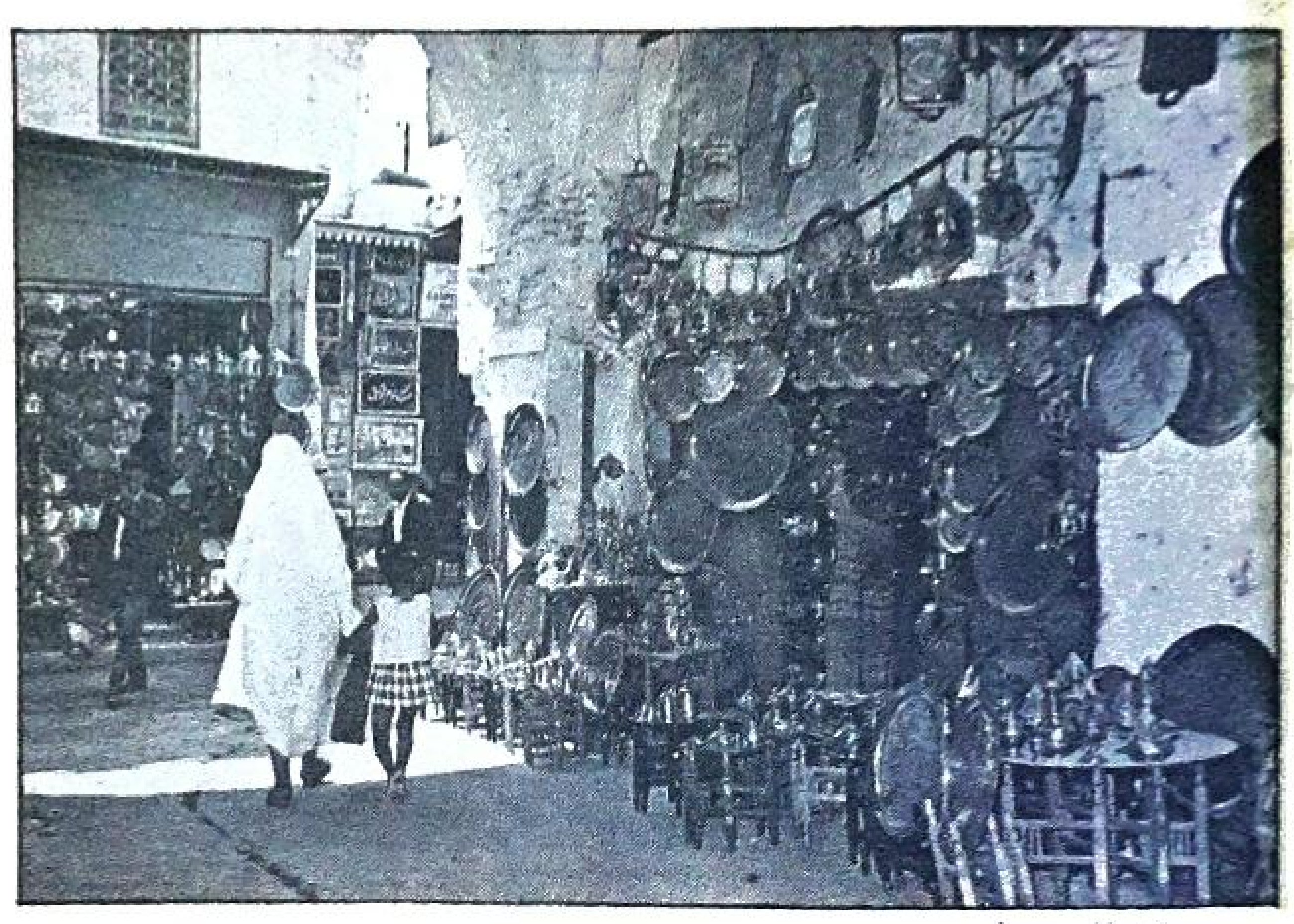


الاكلات الشهية التونسية حيث تمتلىء هذه المدينة باسرها في الصيف بالمطاعم المختلفة المتنافسة بتقديم اشهى الاكلات ومالذ منها وطاب (تنافس في تقديم الاكلات) وخاصة منه ما اعتمد على اسماك البحر المشوي بالتنور كما يعج حلق الوادي بالحركة والانغام والحفلات وبالمصطافين المنتشرين على شاطئه الخلاب ومقاهيه الزاهيـــة .

قرطـــــاج :ـ

عندما تضع قدميك في هذه الضاحية عليك اولا وقبل كل شيء زيارة الاثار الرومانية بالعربات ونظره على الضاحية من ربوة (بيرصا) . فان كل من يزور قرطاج ويتجول خلال آثارها يشعر حتما بعظمتها القديمة الغابرة رغم كـر العصور وتكالب الرومان على سحقها عند احتلالهم لها وأحراقها وذلك سنة ١٤٦ قبـل الميـلاد .

وتخليدا لذكرى هذه المدينة التي انبعثت بهـذه الارض العربية قبل ما يقارب الثلاثين قرنا واشعت على كامل الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط خلال القرون السبعة .



سوق النحاس

ينظم كل عام «المهرجان الثقافي لقرطاج» الذي تتبارى فيه الفرق التمثيلية والموسيقية القادمة من مختلف الاقطار في اطار خلاب وموقع ساحر ورغم أننا لم نشاهد هذا العرض الرائع الا أن الحديث عنه من قبل المرشدة السياحية نقلنا الى عالم الاحلام، فان مجرد ذكر اسم قرطاج يثير الاجلال والتقدير ويوحي بالعظمة والروعة ٠٠ فهي مدينة «عليسه» الاميرة الفنيقية الحسناء كما ذكرنا سابقا والتي انطلقت من صور بلبنان لتحط الرحال مع اتباعها على شاطىء جميل بخليج تونس حيث اسست مدينتها «قرطاج» في عام ٨١٤ قبل الميلاد وفي هذه المنطقة الفاتنة من البلاد

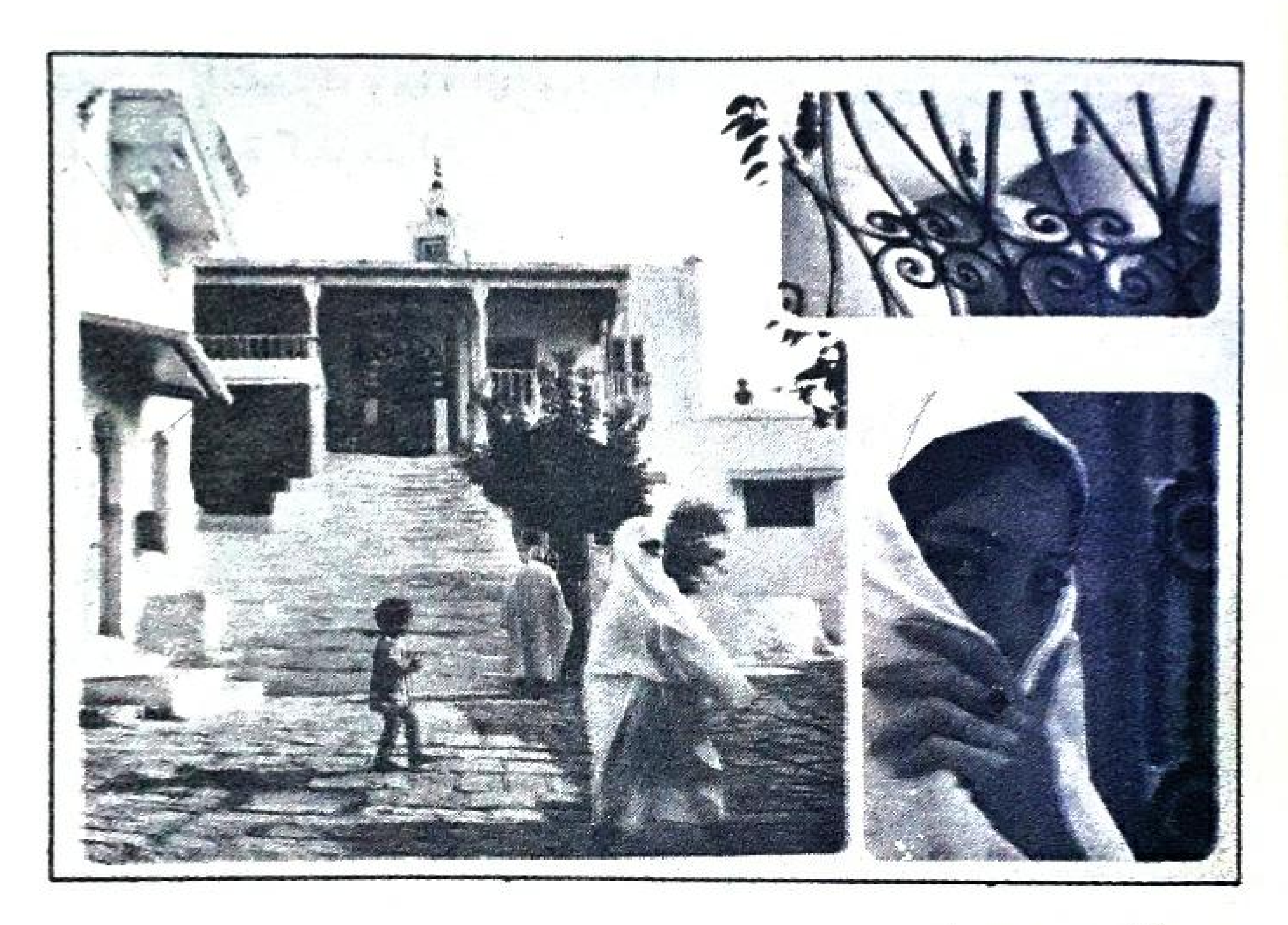
التونسية وجـــدت «عليسه» وطنا ثان لها ولرفاقها واستقبلها التونسيون الاوائل باحر استقبال وأكرموا وفادتها ٠

من قرطاج العتيدة لم تبق الان الا أطلال دارسة وعاديات مختلفة معروضة بمتحفها وبعدة متاحف أخـرى ٠ ومـن أروع صفحات قرطاج المشرقة صمودها الاسطوري في وجه روما طيلة عدة قرون وثباتها ببأس وعزيمة عربية فذه في وجه التوسع الروماني ٠ أما الان فهي ترفع رأسها عاليا على شاطىء البحر الابيض المتوسط وتتحـدى الزمـن ٠

سـيدي بوسـعيد :ـ

مصيف جاثم على ربوة شماء تشرق على خليج تونس ويمكن تشبيه هذه المدينه بقصة افلتت من شرف الف ليله وليله لتستقر في هـذا المكان الفريـد ٠

فمن ربوة سيدي ابي سعيد يبدو للعيان كامل خليج تونس في شبه لوحة زيتية في غاية الروعة والجمال مما جعلت اكثـر السواح تقبل بحماس كبير للتمتع بكـل ما فيها من مشاهـد وبأنسامها العليلة وعمارتها الاسلامية العربية الاصيله وبنماذج



سيدي بوسعيد

من الصناعات التقليدية العريقة التي يشاهدها الزائر في كل مكان وفي كل نافذة وباب وعند كل مقهى وبيت ٠ فلو القيت نظرة على اقفاص الحديد وقد اودع فيها صانعوها كل فنهم وروحهم وأحرزت على شهرة عالمية ، اما أبواب الدور والقصور ونوافذها فقد رسمت واتقنت في صنعها لجمالها ورشاقتها ٠٠ وحدائق بيوت «سيدي ابي سعيد» الحافلة بازكى الروائح واطيب الزهور أصبحت محجة للشعراء ولسائر رجال الفكر والفن ٠٠ كل هذا جعل من هذا الفردوس الارضي مزارا مقدسا لكل زائر يحل

بتونس الخضراء وهذا الفردوس الجنة لايبعد عن مركز العاصمة سوى عشرة كيلومترات ٠

المرســـــى قمـــرط :ـ

كانت تسمى هذه الضاحية في عهد قرطاج بـ ـ المغـارة ـ وأثر الفتح الاسلامي اطلق عليها اسم «مرسى الروم» تزدهر هذه المنطقه الان بمجموعة من القصور المنيعة والمنازل الانيقة التـــي لاشبيه لها في جميع البلاد وهي من اجمل ضواحي العاصمة اوسعها عمرانا والطفها مناخا ٠

اما في أشهر الصيف الحارة فهي تعج بالمصطافين اضافة الى سكانها الدائمين وتقصد هذه المنطقة جموع كبيرة مـــن العاصمة يوميا لقضاء سهراتهم الليلية بين حدائقها الغناء وعلـى شواطئها الناعمة الرمال وبين مباهجها المتنوعة وخاصة بمقهى (الصفصاف) الشهير حيث يقدم الشاي المعطـــر بالنعناع والقهـوة العربيـــة الاصيلة ٠٠ وبفناء هذا المقهى بئر يعود الى العهد الاغلبي يستخرج ماؤه بواسطة ناعور يديرها جمل معصب العينين وبالقرب مـــن المرسى قمرط توجد ضاحيه صغيرة هي «رواد» المترامية الاطراف بشواطئها الواسعة الممتدة الـى مالا نهاية له وبرمالها الذهبيـــة الناعمة وغاباتها الوارفة وهدوئها العـام ٠

الضواحي الجنوبيــــة :ـ

تشكل الضواحي الجنوبية بالنسبة للعاصمة تونس سلك العقد الرائع الذي تحتل هذه المنطقة البهيجة الزاهرة .

وتمتد الضواحي الجنوبية على خليج تونس في سلسلة متصلة من الشواطىء الجميلة .. وعلى حافة ربوة تغطيها أشجار الزيتون تقع (رادس) ذات التاريخ العريق وهي على مقربة من البحر ذات الهواء العليل والحدائق والبساتين الغناء .

ومن أهم مدن الضواحي الجنوبية مدينة (حمام الانف) فهي أهم مدن ومراكز الضواحي الجنوبية وأعرقها وأكثرها شهرة ولقد اتخذت الأسر الموسرة مقرها الشتوي بسبب منابع المياه المعدنية المتدفقة من جبالها وهي مياه ذات منافع طبية اكيدة خاصة في حالات فقر الدم والامراض العصبية والنسائية والتهابات المفاصل المزمنــــة .

هذه نبذة مختصرة عن ضواحي العاصمة تونس الخضراء اما أهم المدن في القطر التونسي الشقيق والتي سوف أحدثك عنها ايها القاريء العزيز ذات التاريخ العريق فهي :ـ

بنــــزرت ـ ضفة المرجــان

تقع مدينة بنزرت حول ميناء بنزرت شمال البلاد التونسية وتمتد علــى مسافة ثلاثمائة كيلومتر تتخللها خلجان وجبــال

ومرتفعات تغطيها خضرة رائعة من الاشجار ، وهي تقع بين الاودية والبحيرات وغابات السرول والمزارع الممتدة حتى الافـــق فهي في غايه الجمال والابداع ، فبنزرت تحتل موقع ستراتيجي ، فهي في القسم الذي يصل البحـــر الابيض المتوسط بالخليـــج الطبيعي الهائل الذي يحمل المدينة بنزرت ملاذ ممتاز بالنسبة للملاحـــة البحرية منذ العصور القديمة ومنذ توالى عليها القرطاجنيـــون والرومان والوندال والبيزنطيون والعرب والاتراك ، وهي اليـــوم مدينة حيوية فهي مدينة عربية تحتفظ بطابعها العربي الاصيـــل بمساجدها واسواقها ومنازلها القديمة وشوارعها الملتوية . ينتهي بك المطاف الى مرفأها القديم بمقاهيه الطـــريفة وقواربه اللطيفة حيث الحركة الدائبـــة .

أما الجناح العصري من المدينه فشوارعه وحدائقه تمتد يوما بعد يوم ويصلك شارع الكورنيش بشمال المدينة حيث تم أنشاء مجمع سياحي يناسب جمال المنطقة، كما يصلك جنوبها بالشواطىء الرمليه الممتدة على مدى البصر بين بحر أزرق وغابات صنوبـــر خضراء وأراض ممرعة في غاية الجمال. أما أسواق المدنية فيكتشف السائح أو المصطاف ضروب الصناعات التقليدية وهي ثمـــرة القرون الطويلة المتعاقبة من أقمشه مطرزه وزرابي (زوالي) جميلة الى صناعة الحديد والتحف النحاسية .

أما مناخ المدينة فيتهافت عليه المصطافون والسياح من كل أنحاء العالم لاعتداله وذلك لتجاور البحر والجبل فهو يؤلف مناخ طبيعي الى جانب الثروات الطبيعية التي تجدها في ساحل المرجان،

فان بعض القرى في هذه المنطقة تستهوي الزائر بما يمتاز بها مناخها او تمتاز به تقاليدها وعاداتها٠فهذه قرية (غار الملح) والتي كان أسمها(بورتوفارينا)سابقا وقد انتصبت في رقعة ضيقة من الارض والبحر والجبل وهي مرفأ صيد بحري يعود بناؤه الى القرن التاسع عشر ٠٠ وعن بعد مسافة بضعة كيلومترات تشرق على قرية (الرفراف) من ربوتها العالية على غابات الكروم المنحدرة نحو الشاطىء الجميل والتي تنتج احلى وأروع عنب في البلاد التونسية كحلاوة العنب اليداوي في قضاء بلد وحلاوة الرمان الجيلاوي في الدجيل وحلاوة التمر البرحي في البصرة ٠٠ ولابد أن أذكر القارىء باني اكتشفت هذا التنوع من القرى سيرا على الاقدام لاطلع بنفسي على ما وهب الله تعالى هذه الارض من خيرات ٠٠٠ كذلك تنتشر عدة قرى هنا وهناك في أراضي خصبه خضراء ممرعة من هذه القرى قرية (رأس الجبل) التي أحاطت بها الرياض الفناء وأنبعثت منها المآذن العديدة فهي أهم سوق في المنطقة يؤم اليه الناس زرافات كل يوم جمعة من كل أسبوع للصلاة والتبضع من السوق الخاص سوق الجمعة ٠٠٠ وعلى شمال هذه القرية قرى أخرى مثل (متلين) و (سونين) على الساحل البحري ٠٠ و (عوسجه) و (زواوين) ، الا أن أحدى هذه القرى بربرية الاصل تنتج ضربا من الخزف فريدا من نوعه وتبعد عن بنزرت حوالي ٦٠كم كبعد بعقوبة عن بغداد وهذه القرية البربرية هي قرية (سجنان) واوصي كل زائر المرور بهذه القرى الفريدة من نوعها ٠

الساحل التونسي هو منطقة سهول وربى امتزجت بها أنوار الشمس المتألقة : فمنذ الاف السنين نبتت فيها شجرة الزيتون والرمان واللوز فتتألف منها بساتين ممتدة الاطراف خلابة بهدوئها ووداعتها وخصبها ، فالى جانب هذه الطبيعه الخلابه التي تمتعك بها منطقة الساحل فانه ليسعد بما يتاح له من فرصة الاحتكاك الممتع مع سكان الريف الذين هم من أقدم سكان البحر الابيض المتوسط والذين أشتهروا بتعلقهم المتين بارضهم الزراعية عندما يحدثوك عن حياتهم . وملخص القول أن الساحل التونسي ذا التقاليد العريقة يجعل الزائر يشعر بلذه حقيقية وهو يلمس الروح العميقة الشريفة في شعب وديع يلمسها من خلال عبارة أو همسه أو أستشارة منهم أو اتصال بشعب جعل من فرحة الحياة حكمة قومية ومن خلقه نظرة صادقة لافعاله الطيبة .

مدينة جربة

جزيرة فردوسية ما فتئت منذ حوالى أربعه الاف سنة تستقبل البشر والحضارات التي يدفع بها البحر اليها . تقع هذه الجزيرة في خليج (قابس) من البحر الابيض المتوسط في دعه وهدوء وسط بحر لازوردي وتحت أشعة الشمس المشرقة على الدوام ، وتبدو للزائر وكانها جزيرة اسطورية قد استقرت في هذه الناحيه الفاتنه الجمال من البلاد التونسية ، فقد منحها الله



فارس عربي من جزيرة (جربــــة)

تعالى بالاضافة الى موقعها الفريد وجمالها الطبيعي طيبة منـــاخ مثالي وانسجام أخاذ بين شتى مشاهدها مـــن أغراس باسـقه وشواطىء ذهبيه ناعمه الرمال ونخيل باسقه وبحر وديـع يحيط بها بحنان ، وكانت احاطة البحر بهـــذا الفردوس الصغير أحسن

التأثيرات على طقس هذه الجزيرة مما جعل الفوارق في درجات الحرارة بها بين الشتاء والصيف فوارق معتدلة وبسيطة ووفر لها مناخا بديعا ليس له شبيه في كل البلاد التونسية . وفي الحقيقة من يزور جزيرة (جربة) ينتشي بمفاتنها وينسى كل شيء ويود لو يبقى بها مدى العمر وان كلامي هذا ليس فية اية مبالغه وماهي الا الحقيقة الواقعة .

تاريخ الجزيرة :

قيل أن هذه الجزيرة انفصلت عن بقية البلاد التونسية في الحقبة الجيولوجية الرباعية كما رواها دليلنا .. الا أن الاسطورة الاغريقية كما يقصها أو قصها أهل الجزيرة لنا نسبت ذلك الى غضب اله البحر (نبتون) وانتقامه من طاغية يحكم تلك الناحية الذي أراد أن يتزوج أحدى عرائس البحر قسرا عنها . وبعدها تنازعتها أقوام عديدة منذ أقدم العصور .

في عام ٦٥٠ ميلادية أشرق على الجزيرة الفتح الاسلامي وكان الفاتح لهذه الجزيرة هو (رويفع بن ثابت الانصاري) من بني مالك بن النجار وهو من صحابة النبي محمد (ص) وأعتنق سكان «جربة» الاسلام ، وبعد الفتح الاسلامي أطلق على الجزيرة أسم (جربه) بعدما كانت تسمى قبل ذلك (مينانكس) وجزيرة

(آكلي النبق) ويقول أبـــن خلدون في مقدمته عـن سبب تسمية الجزيرة بهذا الاسم (جربة) سميت نسبة الى أسم عشيرة مـــن قبائل (لمايه البربريه) •

من خصائص هذه الجزيرة ومن المظاهر الطريفة التي تميزت بها جزيرة (جربة) هي مساكـــن الجزيـرة ودورها وخصائصها المعماريه فاهم مركز فيها هو (حومة الميدان) كساحة التحرير في بغداد وفيها مقر الادارات الحكومية • وأهم مدن هذه الجزيرة هي (ميدون) و (مليته) و (المحبوبين) و (الحارة الكبيرة) و «الحـارة الصغيرة» و (المـاي) و (سدويكش) و (قلالة) • تفصل بين هـذه المدن منازل وقرى وضيعات متفرقة وسـط الحقول والاشـجار والواحات الفريدة في نوعها • في الجزيرة ملاحظة هامة جدا وهي بفضل أنسجام وتضامن سكانها في سائر الاحـوال والازمـان والمهمات والمجالات استطاعوا أن يحتفظوا بوحدتهم وأن يعززوها كلما داهمتهم الاهوال والاحداث والغارات الخارجية • فتاريـخ هذه الجزيرة وهذه البشرية المتضامنة المتحدة الفريدة من نوعهـا في العالم حفاضها على خصائصها وعاداتها وتقاليدها ورغم مـرور الزمن • نعم ـ نعم ـ أن ذكرياتي وأنطباعاتي عن هـذه الجزيرة الوادعه عن أهلها الكرام تشبه ذكريات الغرام ، فلم أر أحدا تحدث عنها دون أن يدفعه أعجابه بها الى حـد الهذيان •

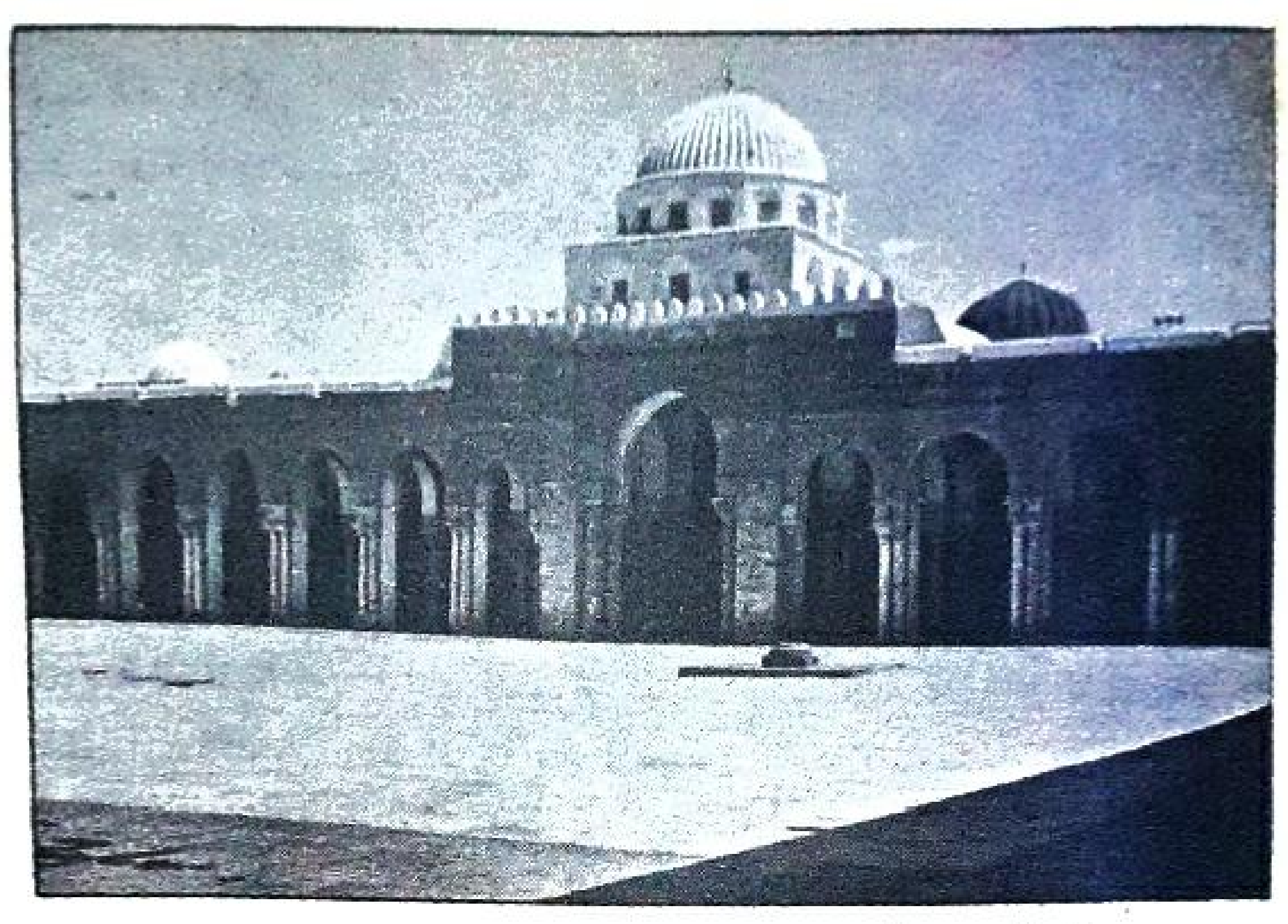
والان لاترك لك أيها القارىء الكريم هذه الذكريات لعلـك تكتشف بنفسك ما قرأته •• أما الان فسوف انقلك معي وقبـل أن تشاهد الجزيرة (جربة) الى مدينه مقدسه هي (القيروان) •

القيروان

لاول وهلة عندما يطرق اسماعك اسم (القيروان) يتبادر الى ذهنك وأنت تتذكر امجادك العربية وابطالها الشجعان والمتمثلة بالقائد العربي الشهير (عقبة بن نافع) مؤسس هذه المدينة ٠

فالقيروان هي المدينة الثانية بعد العاصمة تونس من حيث النفوس والعمـــران ٠

المنظر من شرفة غرفتي في مدينة الحمامات ظل قطعة زرقاء من البحر الابيض المتوسط ٠٠ وهذا المتدرج من الشاطىء الـــى القمم الرمادية الصفراء البنفسجية عند الشروق ٠٠ ريح فاتـره تهب من الغرب وتداعب الاغصان كأوتار ، فتتخـرج منها أنغامـاً تتموج في الجو حولي ٠٠ ترى ماذا تقول هذه الريح ؟ ٠٠ وبماذا تتغنى هذه الاشجار ٠٠ انها تهز كياني من أعماقه ٠٠ انه جـــو خريفي حالم يشيع في النفس سعادة هانئة ٠! فما أحلى الاستمتاع بهذه الخلوة لاستذكار جولاتي حول العالم ٠٠ فمع اســـتعراض الذكريات ٠٠ نادت مرشدتنا السياحية وقائدتنا في السفرة الى القيروان السيدة (بختة العلاني) للتوجه الى الحافلة ٠٠ صعدت الحافلة مع المجموعة السياحية ودخلنا الطــريق الرئيسي المؤدي الى القيروان والمسافة بين الحمامات والقيروان هي (١٠٠كم) وقد سرنا في الطريق العالمي الذي يربط الجمهورية التونسية ـ القاهرة والمسافة بين العاصمتين هي (٣٨٠٠كم) بطريق معبدة وها نحـن



مسـجد عقبة بن نافـع

نخترق أول مدينه بعـد الحمامات هي (بوتيشه) المتدة علـى الساحل البحري والمشتهرة ببساتين الزيتون ويمتهن ٦٠٪ مـن سكانها الزراعة وبعد مرور ساعة مـن مغادرتنا مدينة الحمامات وصلنا جبال الاطلس التي تفصل تونس عن الجزائر وها نحـن نقترب من مدينة اخرى هي (منفيضه) التـي كانت تعود الـى الاستعمار الفرنسي آنذاك يزرعون أرضها ويستغلون ثمارها كما انهم يستخدمون الفلاحين التونسيين في زراعة الارض مقابل جـزء ضيئل من الحاصل وكان الاقطاعي هو الامـر والناهي والمستغل للارض ولكل شيء .. الا أن ثورة الشعب العربي في تونس بقيادة

المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة الذي اعاد الارض الى أصحابها ومغادرة الفرنسيين المدينة الى بلدهم فرنسا . كان سكان هذه المدينة من القبائل الرحل يتنقلون من أرض الى أخرى ويتفقون مع أصحاب المزارع على أن تكون حصتهم ١٠٪ من الغلة الا أن الحكومة تمكنت بعد تحرير المدينة من أسكان بعض هؤلاء بقرى بنيت خصيصا لهم يتوفر فيها الماء والكهرباء والخدمات الصحية والمستوصفات والمدارس .

في اللحظة التي كانت فيها المرشدة السياحة تتحدث عن مدينة (منفيضة) كانت الغيوم تملأ السماء كاها وكذلك كان الضباب الدبق بارد الى أبعد الحدود وقد أتخذ سبيله الوئيد خلال الهواء في تموجات يتبع بعضها بعضا ويغطي بعضها بعضا كما تفعل الاهواج في البحر وكان كثيفا جدا حتى لقد حجب كل شيء امام الحافلة (السيارة) واصبحت الرؤيا شبه متعذرة من شدة الضباب وأختفت الشمس تماما ولم يكن بمقدور المجموعة رؤيه الارض والسماء .. وقد خيم السكون علينا وداخلنا شعور المقبل على خطر لانعرف من أين يجيئنا أو متى يحل بنا .

قال احدنا :

ـ اخشى أن الضباب سيكون كثيفا !!

ـ وعلق آخر .

ـ اردا شيء ... سيفسد علينا رحلتنا .

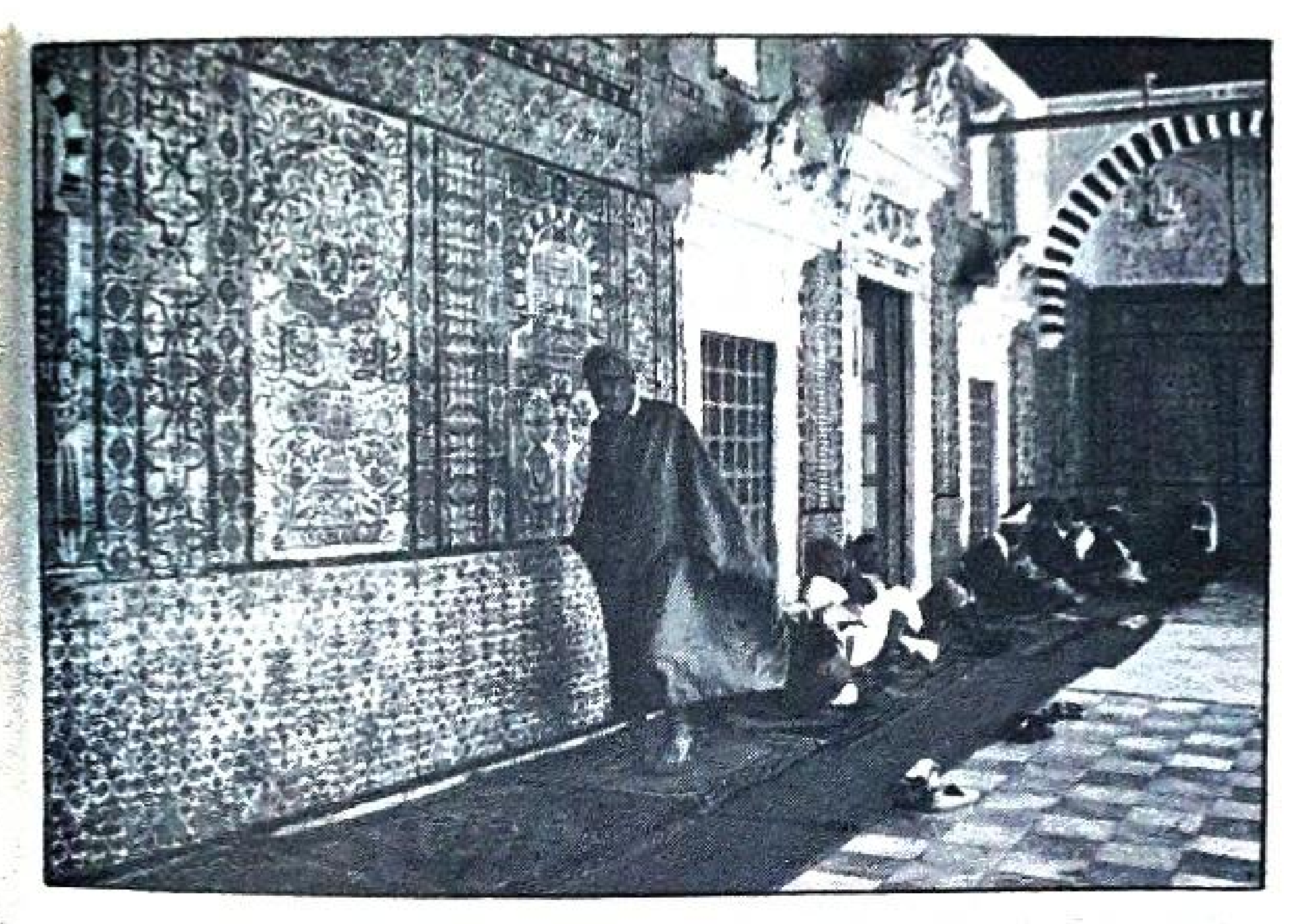
ـ قال السائق : اطمئنوا فهذا طريقي وأنا اعرف به منكم كما أن لي ذاكرة الكترونية ترشدني على الطريق الصحيح !! ضحكنا

ونوعما أطمئنت النفوس لهذه النكتة . الا ان أحد المجموعة قال : انا لا أهتم من كل الحوادث فانها لا تساوي مشكلة واحدة مع زوجتي العملاقة : ضحكنا وصفقنا له .. أجابه آخر .. انا ولله الحمد ليست عندي أي مشكلة في البيت لانها لاتعرف سوى طبخ اللوبيا قلت له وهذه أعظم المشاكل فلا بد ستكون معدتك يوما ما مزرعة لوبيا ...! ضحكنا وصفقنا .. في هذه اللحظة التي كنا بها منشغلين مع انفسنا .. انقشع الضباب واصبح في المقدور رؤية الارض والسماء وتنفس الجميع الصعداء دليل الاطمئنان .

تنتشر على جانبي الشارع الذي نخترقه مزارع اللوز والمشمش .. فصفاء الجو ودفئه حفز المرشدة المرحة على الغناء وقد زاد في حماسها لذلك تصفيق حاد من المجموعة وهي تغني لناظم الغزالي .. ومن الجدير بالذكر ان لناظم الغزالي وأغانيه وقع كبير وحب عظيم في قلوب التونسيين .

تقترب السيارة من مدينة القيروان ولابد لنا أن تأخذ فكرة عن هذه المدينة العريقة والتي تكلمنا عنها سابقا بايجاز أثناء الفتح الاسلامي لها .

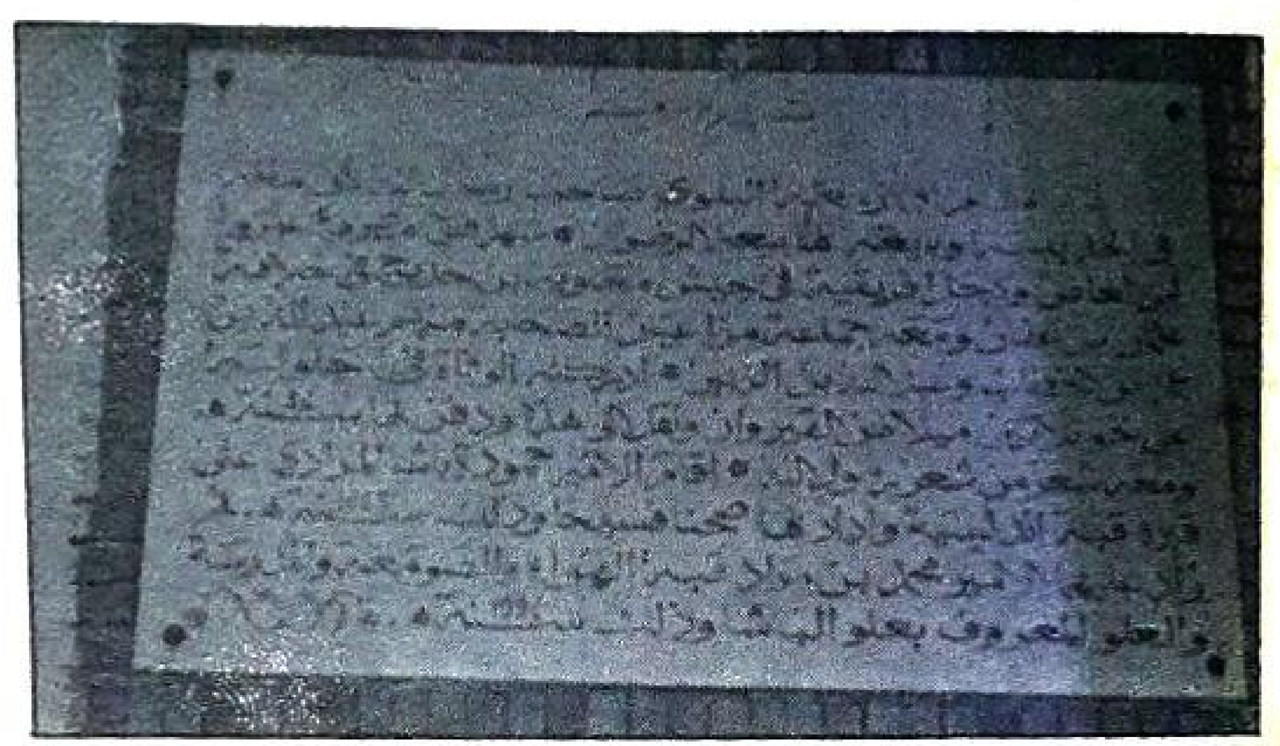
القيروان هي البلد العربي الاصيل ، استولى عليها العرب بعد ثلاث معارك بقيادة (عقبة بن نافع) . بعيدة عن البحر الابيض المتوسط ، فالبربر الذين كانوا فيها لم يوافقوا على دخول الاسلام اليها ، الا ان القائد عقبة بن نافع أخضعهم وبنى في المدينة مسجد سماه باسمه سنة ٦٧١م ذلك المسجد العظمة ببنائه وسعته يبلغ عدد نفوس المدينة الف نسمة وشعبها مشهور بالاعمال اليدوية من صناعة السجاد والفخار والمواد النحاسية . في المدينة



مسجد في مدينة القيروان

۳۰۰ مسجد أكبر مسجد عقبة بن نافع والمدينة محاطة بسور قديم يحتفظ علـى هيكله لهذا اليوم .

مظهر المدينة ينم على انها مدينة تجارية ذات أهمية كبـرى وكانت مأذنة مسجد عقبة بن نافـــع تكشف جميـــع شوارعهـا وطرقاتها المتقاطعة بزوايـــا متعرجة وذات الميادين الكثـــيرة في مفترقاتها .. وكان معظم السكان يرتدون العباءة التونسية او ما تسمى بـ (الحايك) من نساء ورجال .. وبعد أن تجولنا فتـــرة



لافتة خطت على باب مسجد ابو دمعة البلوي (رض) في مدينة القيروان

طويلة في جوانب المدينة وجدنا انفسنا في شارع عريض حيث الجماهير كانت محتشدة بصورة تلفت الانظار سواء في قلب الشارع أو على جانبيه او في مداخل المنازل والمتاجر غير حافلين بالمرور الدائم للسيارات وكانت الاعلام واللافتات تبدو في كل مكان على واجهات المنازل ونوافذها كل هذا كان استمراراً بالايام السابقه من مجيئنا احتفاء بمولد النبي محمد (ص) فهم يعظمون هذا اليوم الى حد المبالغة . اخترقنا الجمع الحاشد متجهين مع مرشدتنا السياحية الى مسجد (ابو دمعة البلوي) هذا المسجد الغارق بين الاثار والتحف النفيسة وعلى واجهة مدخل باب المسجد ثبتت لوحة كتبت عليها العبارات الاتية وهي ملخص لحياة هذا الصحابي .

« هذا مقام ابو دمعة البلوي صاحب رسـول الله (ص) كان معه في الحديبية وبايعه بيعة الرضوان شهد فتح مصر مـع عمرو ابن العاص ودخل أفريقية في جيش معاوية بن حديج في خلافـة عثمان بن عفان ومعه جماعة من اعين الصحابة منهم عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير ، ادركته الوفاة في (جاوله) على بعد ثلاثين ميلا من القيروان ونقل الى هذه ودفق فيها سنه ٣٤ هجرية ومعه شعرة من شعرات رسول الله (ص) . أقام الامـير «حمودة باشا المرادي» على قبره قبة اندلسية وأدار بهـا صحنا فسيحا وذلك سنه ١٠٩٥ هـ ثم زاد عليها الامير محمد بن مراد قبه الهواء والصومعة والمدرسة والعلو المعروف بعلو الباشا وذلك سـنه ١٠٩٤ هـ» وبعد أن تمتعنا بهذا المشهد الشريف لهـذا الصحابي الكريم غادرنا القيروان باتجاه مدينة «سوسة» .

سوسة

مدينة سوسة جمعت من كل فن في كل جمال ، فالجمال هو ما يلذ للعين والفن يعبر عن الجمال : انها تحفة تونس الخضراء . فالخيال . لا بل الحقيقة عن هذه المدينة الجميلة تتلاعب بالذاكرة فلا يعلم الانسان ما حل به .. تمر بك النسائم فتعطيك قبلاتهـا وتأخذ منك الحانا .. فالمدينة خالدة خلود الجبال .. خلـود

الثلوج فوق جبال هملايا .. خلود النخلة العراقية .. خلود آثار بابل .. فسوسة متعة في كل شيء وهي ثالث مدن تونس .. وصلنا اليها وكانت آثار الاحتفال والمهرجان بيوم مولد الرسول الاعظم محمد (ص) سيد الكون وسيد البشرية ..!! في المدينة شارعان رئيسيان تجاريان نظيفان الى حد المبالغة شأنها شأن المدن التونسية أجمع .. الحدائق منسقة تنسيقا رائعا أنيقا يلفت الانظار .

تقع سوسة بين مزارع الزيتون والحبوب والكروم الجميلة. وهانحن نخترق شوارعها الداخلية .. وعلى صوت عجلات السيارة المندفعة الى امام عانقت طفلة أباها وطوقته بذراعيها وكأنها تريد أن تقول له غني .. فتش الوالد اللطيف بين أوراقه الى أن عثر بالورقة التي يبحث عنها وأخذ يغني لها ، لانه لم يكن يحفظ اغنيه في حياته كما قال لنا .. فكانت الطفلة تنظر الى ابيها فيقر بالها بأغنيته التي رافقتها صفقة من المجموعة فقد أحست بالعز والافتخار .. وحقيقة كانت هذه الطفلة قد امتلكت جميع القلوب بجمالها ودعتها وكرم اخلاقها رغم صغرها .

تقدم لنا القول بان السيارة اخذت تخترق الشوارع لتصل الى مركز المدينة .. وتقف في الشارع الرئيسي ونزل الجميع منها للقيام بجولة داخل المدينة .

كان يطلق على سوسة سابقا اسم (حضرموت) وهو أسم قرطاجني .. وفي المدينة متحف رائد من المتاحف التي تضم المخلفات الرومانية والعربيه والمنقوشة بالفسيفساء وهي تقع على

ساحل البحر الابيض المتوسط وهي ميناء مهـــم في الجمهوريـــة التونسية ٠ يتوسط المدينة تمثال المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبه والمصنوع في يوغسلافيـا ٠

يخترق شارع بورقيبه المدينة من جنوبها الى شمالها فيقسم باقي الشوارع الى قسم غربي وقسم شرقي لذلـــك يجب دوما اضافه غربا او شرقا لكل من يريد أن يصل الى محل ما عندمـــا يسأل أحد المارة ٠٠ والنقليات في المدينة سهلة ومريحة جدا سواء في الاتوبيس أو في سيارات الاجـــرة (تاكسي) فيمكن للراكب أن ينتقل من سيارة الى اخرى بتذكرة واحدة تخترق المدينة من اولها الى آخرها فتسهل التوجه ٠٠ واذا ضاع أحد او أحتار يمكنه أن يسأل أحد المارة فيرشده بكل فرح وسرور ولا ينزعج النـاس اذا أستأذنهم أحد في استعمال تلفونهم فالمكالمات وان طالت فهـــي مجانية ٠ بعد أن أنهينا جولتنا في المدينة اتجهنا صـــوب المطعم المخصص في «أوتيل سوسة» لتناول وجبـــة الغداء المكونة مـــن (الكيس كوسه) وهي أكلة شمال أفريقيا أو المغرب العربي وهي أكلة شعبية مكونة من لحمة كبيرة علـــى برغل ناعم جدا مـــع الخضراوات والبهارات الحارة وتشبه عندنا أكلة القوزي الا أنها الذ وأشهى كما اضيفت الى الوجبة بعض المشهيات من ســـلطة الخيـــار والطماطة والزيتون والجزر والفلفـــل والزيتـــون والفلفل والزيت التونسي اللذيذ مع وجبة فاكهة من الغلة البرتقال والتفاح والليمون مع وجبة حارة من الشاي أو القهوة ٠

خرجنا من المطعم متجهين الى ميناء سوسة الجميل سيرا على الاقدام على أساس (تعشى وتمشى وتغدى وتمدى) أما نحن فقد عكسنا المثل ٠٠٠!!

مرفأ سوسه هو الجمال بعينه خاصة في هذا الفصل الجميل من السنة ففي الليل تتألق الانوار فيه وذلك لاصطياد الاسماك الملونه وقد تحول هذا المرفأ لجماله وجمال شواطئه الى مركز اصطياف بجانب الاف من السياح ٠

على صوت ونداء المرشدة السياحية (بختة) عدنا الى حافلتنا للعودة الى مقرنا في مدينة الحمامات ٠

غادرنا سوسة بعد أن أمضينا فيها يوما كاملا محملين مما راق لنا من أسواقها من الحاجيات من منسوجات صوفية وقطنية في غاية الابداع التي أمتاز بها شعب تونس الوديع ٠ انطلقت بنا

السيارة على أقصى سرعتها وكأنها على موعد ٠٠ كما انطلقت المرشدة السياحية باغانيها الجميلة لناظم الغزالي الذي يحب التونسيون أغانيه الى حد الهذيان ، ولما لم تجد من يساندها سكتت وأتكأت على مقعدها مسنده رأسها على الكرسي ٠٠ وكان احجام المجموعة عن مساندتها التعب الذي الم بهم طيلة هذا اليوم ٠

كان كل شيء في السيارة هادىء ساكن ونوافذ السيارة مغلقة ، والشوارع خاليه مهجورة عندما يحل الظلام ٠٠ على حين تطل من بعض النوافذ قلة من المنازل بعض الاضواء الخافته خلف الستائر ٠٠ وقد أستلقى كل واحد على كرسية وأغمض عينيه ٠

فالمتعب يجد راحته عندما يستقلى على فراشه ليستريح من الم الجد وكده وسرح يفكر بحالته ..!!

بعد نصف ساعه من مغادرتنا سوسة وصلنا الى مدينة (المنستير) وهي مدينة مولد رئيس الجمهورية الحبيب بورقيبه . ولم يكن لنا نصيب التجوال فيها لحاول الظلام وها نحن نخترق الشارع الرئيسي فيها والذي اصطفت عليه أشجار اللوز والجوز وبعض شجيرات الكالبتوس . توقفت السيارة قليلا لعبور المارة من أطفال كانوا عائدين الى بيوتهم مع والديهم .. في هذه اللحظة وهذا المشهد من الاطفال رجعت بي الذاكرة الى عهد الطفولة وكأن فلما سينمائيا مر بذاكرتي عن مراحل الدراسة ، كما تذكرت الحادثه التي وقعت لي عندما كنت طفلا .. فقد حدث في مساء ذات يوم أذ كنا ثلاثة من الصبيه نتسلق التل في قريتنا نتلهى ، بنزع أعشاش الطيور من فوق الشجرة ولما داهمنا الليل قفلنا راجعين وكان الليل كثيف الظلام والسحب القاتمه تغلف السماء والساعة تدق معلنة العاشرة مساء .. اما سبب تأخرنا في العودة الى تلك الساعة فتفسيره اننا نسينا أنفسنا وتوغلنا قليلا بين أشجار البساتين .. فقد شاهدنا رجلا يقترب منا وخشينا أن يكون هذا الشبح هو صاحب البستان ولذنا الى شجرة عالية حتى يغيب عنا الشبح .. أما امهاتنا كالمعتاد ينتظرون عودة اولادهن المتأخرين وهن في قمة القلق فاذا ما عدنا سالمين عبرت الامهات عن فرحتهن الدفيئه بالعودة في صورة غضب ظاهري منهن .. ولم أنسى تلك الصفعة الشديدة من والدتي والتي كانت الاولى والاخيرة .

قلنا باننا اخترقنا شارع (المنستير) ‥ فالمدينة على مـــا يبدو نظيفه وهذا شأن الشعب التونسي الذي شعارة النظافة ‥ كما قد مرت السيارة من تحت قوس زين بالاعلام الوطنيه وسعف النخيل حيث كان أهل المدينة قـــد أحتفاوا بعيد مولد رئيســـ الجمهورية والذي كان ميلاده في سنه ١٩٠٣ ٠ يحيط بالمدينة سور عظيم وقيل أن أهل كانو! المدينة يختبئون فيه من غارات البربـــر وغزواتهم ٠ وقـــد توسعت المدينة وأنتشـــرت الابنية الجميلة والعمارات الشاهقة في كل مكان من المدينة ‥!!

أستدارت السيارة وبخفة وسرعه مبتعدة عن المدينة ومتخذة الشارع الرئيسي المؤدي الى مدينة الحمامات وبعـد مرور نصف ساعه أضيئت مصابيح السيارة ليعلن سائق السيارة وصولنا الى مقرنا في مدينة الحمامات ‥ وبعد أن توقفت حمل كل واحـد منا أمتعته واتجه صوب غرفه النوم حتى الصباح علـــى أمل القيـام بجوله في العاصمة تونس الساعه التاسعة صباحا ، وقـد ضمت الغرف ‥ غرف النوم ٠ المجموعه بينما تقابلت غيوم السماء مع غيوم البحر الابيض المتوسط وقد خفت الحركة في الفندق في هذا الليل الحالك وهكذا أستغرق القوم في النوم ٠

في الصباح هبت المجموعة لتناول طعام الفطـور مستأنفين حياتهم النهارية كالمعتاد على أمل مغادرة مدينه الحمامات للقيـام بجولـة في العاصمة تونس ٠

جولــة
بالسيارة من الحمامات الى تونس

في الساعة التاسعة أعلنت المرشدة أن وقت الحركة قد حان وجلس أصحابنا في اماكنهم المتقاربة يتفرجون على معالم الطريق من خلال النوافذ .. فشاهدوا البراري الواسعة الخضراء المرعة والجبال البعيدة عند الافق والجداول الصغيرة التي كانت تتدفق وتتجمع لتصبح بحيرات صغيرة يعلو ماءها الزبد وكانوا يرون بين فترة واخرى قطعان الماشية وهي تبدو من بعيد كالكتل الهائلـــة المتحركة ببطء تعيش في تلك المراعي في أمان وكان بعض هــذه القطعان يمر علــى الشارع الذي نسلكه فتعطـل السيارة حتى تنتهي من مرورها . لم تكن أقامة المجموعة في العاصمة تونس بل في مدينة الحمامات التي تبعد عن العاصمة (٧٠كم) وذلك حسب البرنامج الذي أعدته المؤسسة العامة للسياحة وياحبذا لو كانت الاقامة في العاصمة ومنها تنطلق المجموعة لمشاهــدة بقية مــدن البرنامــــج .

كان الجو جميلا جدا والشمس ساطعة شمس شباط وهي ترسل أشعتها الذهبية عند الصباح الباكر على الربوات الخضراء وعلى أشجار الزيتون مما أضفى عليها منظرا ياخذ بالالباب ...

فمزارع الزيتون والاعناب منتشرة الى الافق والجبال تحيط بهذا البساط الاخضر الزبرجدي والسماء الصافية تطبق على الافق فتعطى للمشاهد لوحة خطت بريشة فنان ·

لنعود الى المجموعة وأحاديثها فقد وجه أحد المجموعة كلامه الى أحدهم متسائلا :

- هل تعرف تغني ؟
- أجل ولقـــد سبق أن غنيت في المدرسة عندما كنت طالبا في فرقة متجولـــة ···!!

- أعني هل تعرف تغني أغنية لسعدون جابر ؟
- كـــلا ··
- لفريـد الاطرش ؟
- كـــلا ··!
- اذا لمـن تغني ؟
- لناظـــم الغزالي ··
- اذا ·· هيـــا ··

وبدأ صاحبنا يغني لناظم الغزالي ·· «شبكت رأسي على عشري ··· مـاذا ·· مـاذا ؟

- عفوا · شبكت عشري على رأسي ··· الخ الاغنية التي لـم يكن لها أي نغم وأي انسجام ·· مما اضحك الجميع ···

وفورا هبت المرشدة السياحية (بختنه) لتغني لناظم الغزالي وفي الحقيقة كانت أغانيها رائعة ومنسجمة نظما ولحنا ·· ان هذه

المرشدة السياحية (بخته العلاني) الموظفة في الوكالة العالميـــة للاسفار .. التي صاحبتنا طيلة مكوثنا في القطر التونسي . وعليه لابد لي أن القي الضوء على هذه السيدة الطيبة .. مولدها تونس من مدينة الحمامات متزوجة ولها أطفال شابة بهيه الطلعة رابطة الجأش قويه البنيه متقبله ما يحيط بها من علائم الحضارة بجدية تستجيب لنا كلما طلبنا منها تفسيرا وشرحا وسؤالا .. حسنة الخلق والاخلاق .. عربية بمعنى الكلمة .. تعتـز بعروبتها .. لاتفارقها الابتسامة لحظة واحدة جديرة بعملها بكل جد واخلاص اننا ننثر الجميل اليها نظما ونثـــرا .. وفقها الله تعالى لخدمة وطنها وأمتها العربية ..

تركت الغناء وأخذت تحدثنا عن الارض التي نسير فوقها قالـــت :

كانت هذه الارض الواقعة بين الحمامات وتونس عائدة فيما مضى الى الايطاليين وأنكم تشاهدون ذلك القصر الكبير الفخـم مشيرة اليه باصبعها ... هـذا القصر الابهة كان يسكنه اقطاعي ايطالي .. وكان بدورة قد أهدى هذه الارض التي استغلها الـى الفاشي موسوليني .. الا أن مقاومـة الشعب التونسي البطـل للاستعمار الايطالي حال دون وصـــول موسوليني ليطأ الارض العربيه .. والان يستغلها ابناء شعبنا التونسي الـــذي ما برح يعمل بجد ونشاط للانتاج .

الحافلة تسير مخترقة الشارع الممتد الطويل بين القــرى والارياف الممتدة بمحاذاته ... وأشاهد الاولاد والبنات وهــم يخرجون من بيوتهم متوجهين الـى مدارسهم المختلفة وهنا علقت المرشدة .. عندما سألتها عن المدارس .. هل هي مختلطة ؟

قالت : نعم مختلطة .. فالاختلاط واجب في المدارســ حتى لا تكون عقدة نفسية عندهم عندما يكبروا .. !! ضحك الجميــع لهذا التعليق .. وحقا كانت المرشدة تطلق نكاتها عندما تجد أن الضجر والسأم خيم على المجموعة وأحتواها الملل والوجوم .

لقد صادفـ اليوم العاشر من شهر شباط ١٩٧٩ يوم ميلاد الرسول الاعظم (محمد) وقد زينت القــرى والاريافـ والمــدن والمحلات والشوارع تعظيما لهذا اليوم المبارك ، وقـــد أنتشرت الاعلام والزينة في كل مكان .. في المساجد والاسواق والمحلات العامة والساحات والحدائق وقد بالغوا في الزينة ، وهاهي أقواس الفرح قد نصبت على مفارق الطـرق ورؤوس الشوارع .. بينما نحن نخترق مدينة (حمام الانفـ) القريبة من العاصمة والتـــي تشتهر بكثرة الحمامات المعدنيه والمفيـــدة صحيا والتي تتراوح أسعار الدخول اليها بين ٢٠٠ـ٥٠٠ فلس للشخص الواحد .

في هذه المدينة أقيمت عمارات سكنية وشقق للايجار تقــوم ببنائها شركات عالمية لبيعها على المواطنين بقيمة تتراوح بـــين ١٠ـ١٥ الفـ دينار تونســـي حسب محتويات الشقة ومساحتها وهذا السعر يشمل غرفة للنوم واستقبال وطعام ومرفقات وهذا

بسعر عشرة الاف دينار أما اذا كانت الشقة تحتوي على غرفتي نوم واستقبال وطعام ومرفقات فقيمتها خمسة عشر الف دينار ويسمح تقسيط القيمة على أن لايقل القسط عمن ستين دينارا . مع العلم بأن الطبقة المتوسطة والادنى متوسط يتعذر عليهما الشراء أو التقسيط .. لو قارنا أجرة العامل اليومي في جميع الاحوال من معمل او مطعم أو فندق أو عمل تحت الرمز التي هي من ٥٠٠ـ١٢٥٠ فلس يوميا وقس على ذلك .

في الوقت الذي تتحدث فيه المرشدة عن مدينة حمام الانف نكون قد دخلنا الشارع الرئيسي للعاصمة تونس .. هذه العاصمة التي لم تكن لي صورة سابقة واضحة عنها عدا أيام قلائل سابقا . فمعرفة الانسان بالدول العربية أو الدول العالمية تحددها الاقامة الطويلة ، وكان انطباعي عند رؤيتي مدينة تونس الجملية هو أنه مهما حاولت قوى الاستعمار أن تقوم بتغيير النظم والتقاليد العربية في هذا البلد الامين بالاساليب والطرق المعوجة فانه يتلاشى أمام ما يستطيع الشعب العربي في تونس القيام به لقلب تقاليدهم وعاداتهم بانفسهم .

الشوارع مزدحمة بالسيارات والمارة .. والحافلة تشق طريقها بصعوبة بالغة الى أن توقفت في المنطقة المسموح بها ، في الشارع الرئيس .. شارع بورقيبة .!! العاصمة تونس كبيرة المساحة رائعة المعالم الجغرافية .. جذابة بحدائقها الواسعه وشوارعها العريضة ومركباتها الفاخرة ومتاجرها المكدسة .

بمختلف الوان البضائع والتحفيات الذهبية والفضية والنحاسية بعد أن توقفت السيارة قليلا استمرت الى أن وقفت أمام متحف بـــــــاردو ٠٠٠٠ !!

متحـــف بـــاردو :

يحتفظ باردو باعظم الاثار التي مرت عليها الوف الاعوام ٠ وهي مجموعة نادرة من التحف الرومانية التي عثر عليها صيادوا السمك سنة ١٩٠٧ وعلى مجموعة أخرى يونانية مـــن العصـــر ـ الهلنسيتي ـ من أواخر القرن الرابع الى أواخر القـــرن الاول وقد عثروا عليها في مدينة المهدية التي تبعد (٦٠ كم) عن العاصمه تونس والذين وجدوا (اله الخمر) وتمثال (ديونيزوس) وزوجتـــه (اريانه) كما يضم هذا المتحف الجوهرة أروع نقوشـــ الفسيفساء من العهود الغابرة ما قبل التاريخ من العهـــد الفنيقي والروماني والمسيحي ثم عهد العرب ، وكلما كان الناس يستعملونه من عـــدة وعدد آنذاك ٠ خرجنا من المتحف متجهين الـــى المحـــل المخصص لوقوف الحافلة أمام تمثال بورقيبه وسط المدينة تونـــس ٠٠ الا أن قسما من المجموعة لازال في السوق ٠٠ هذا القسم الذي رفض الدخول الى المتحف وفضل التبضع بدلا عن مشاهدة روائـــــع التاريخ ٠ ومن أجل أن لانتأخر عن الموعد المقرر لحركـــة الحافلة تمت مع السيد عادل المكلف بمرافقة المجموعة من قبل المؤسســة

العامة للسياحة .. مهرولين الى السوق نلتقط بعضهم ونرشده الى موقف الباص .. اكتمل الجميع وانطلقت الحافلة في الشارع المؤدي الى مدينة (سيدي بو سعيد) التي هي من ضمن برنامج العاصمة ومن ضواحيها .. تقع هذه المدينة على سفح جبل بين أشجار الصنوبر والجوز وكأنها الجنائن المعلقة في بابل .. هذا الموقع الممتاز الذي يشرف على خليج (قمرت) على ساحل البحر الابيض المتوسط الرائع الذي شيدت عليه هذه المدينة الجميلة .. وقد وصلنا الى المدينة في طريق ملتوية صعودا حتى مركز المدينة وهو الشارع الرئيس لها .. هذا الشارع الجميل قد صفت عليه الحوانيت المملوءة بالبضاعة التقليدية التونسية من اعمال النحاس والزرابي والاقمشة المطرزة النسائية والرجالية المزخرفة والملونة تلوينا يبهر العقول .

تجولنا ساعه عدنا بعد ذلك الى حافلتنا لتناول طعام الغداء في (فندق المغاره) بالقرب من مدينة (سيدى بوسعيد) على ساحل البحر الابيض المتوسط وعلى مسافة عشرة كيلومترات عن العاصمة ومسافة عشرة دقائق عن مطار تونس الدولي في ضاحيه قرطاج وعلى مقربة من متحف قرطاج التاريخي . أن موقع هذا الفندق وسط الضاحية يجعل منه منطلقا لفسحات على الاقدام عبر شواطىء الضواحي الشمالية للعاصمة والمنطقة باسرها . ويوفر هذا الفندق لنزلائه نادي للفروسية وملاعب للتنس والكولف والحمامات الحارة (زاونه) .



بائـــع الزهـــور في تونـــس

الجميع حول الموائد لتناول طعام الغداء .. والستائر التي كانت تغطي الشبابيك قد أزيحت عنها .. وقاعة الطعام بالفندق رائعة .. ومنظر البحر أضفى على المكان روعة وجمالا .. والسماء الصافية .. والشمس الساطعة .. تأخذك بعيدا .. بعيدا الـى عالـم الحب والخيال .

قدمت وجبات الطعام باطباق فضية مليئة باللحم والحسـاء والجبن والزلاطة المكونة من الخس والخيار والطماطة والجبـن

بالزيت التونسي والزيتون ·· وبعد هـذه الوجبة الدسمة قدمت الفواكه المنوعة من الليمون والبرتقال والتفاح ·· كما لحقتها وجبة من المرطبات والمدفئات · وبعد الانتهاء من الطعام تفرقت المجموعة على ساحل البحر الابيض المتوسط لالتقاط الصور التذكارية ·· غادرنا الفندق بعد هذه الجولة الى مركز العاصمة والتي تبعد عن الفندق كبعد الاعظيمة عن ساحة التحرير ··· !!

توقفت السيارة وانتشروا في الاسواق أيضا للتبضع علـى أمل العودة الى السيارة الساعة السادسة مساء للعودة الى مقرنا في مدينـة الحمامـات ·

في الساعة السادسة تماما كانت المجموعة قد أتخذت مقاعدها في السيارة وأنطلقت تنهب الارض ·· حتى مدينـة الحمامات ·· نزل الجميع واتجهوا الى غرفهم لتفريغ الحمولة ·!! وأخذ قسطا من الراحة ·· وفي الساعة الثامنة كانت قاعة (النزل) أي الفنـدق تموج بكامل المجموعة للتداول في قضية بقية أيام السفرة والتـي لم يخصص لها برامج ومدتها خمسة أيام ·· وبعـــد أن اكتمل الجميع في صالة الشاي تداولنا حول الموضوع والمطروح للبحث عن بقيه الايـام قـال أحدهـم :

- جولة بحرية ممتعة !! اليس كذلك ؟
- الجولة البحرية بهذا الجو البارد ؟ لايمكن ··!!

- أنا لا اقول لكم البسوا المايوهات على سطح السفينة ! والذي أقوله نتمتع بمناظر شواطىء البحر الابيض المتوسط .. هل سبق لك أن تجولت أو ابحرت بهذا البحر ..؟
- كلا ..!
- اذا لماذا وحدك تعارض هذه الفكرة وهذا الاقتراح ؟
- لست وحدي وانما ...!!
- وأنما ماذا ؟ ...
- أعرض الاقتراح على المجموعة !! . ولما عرض .. رفض بأكثرية الاصوات .

الا ان أحد الاخوان نهض وقال : ويريد تأكيد الرفض !!

- البحر غير هادىء .. وهو مليء بالصخور .. وربما ترتطم السفينة بصخرة وتكون نهايتنا!! وفيما كنا نهم بالانصراف!! لمحنا عن بعد مرشدتنا السياحية التونسية متجهة نحونا ومسرعة وهي تقول :

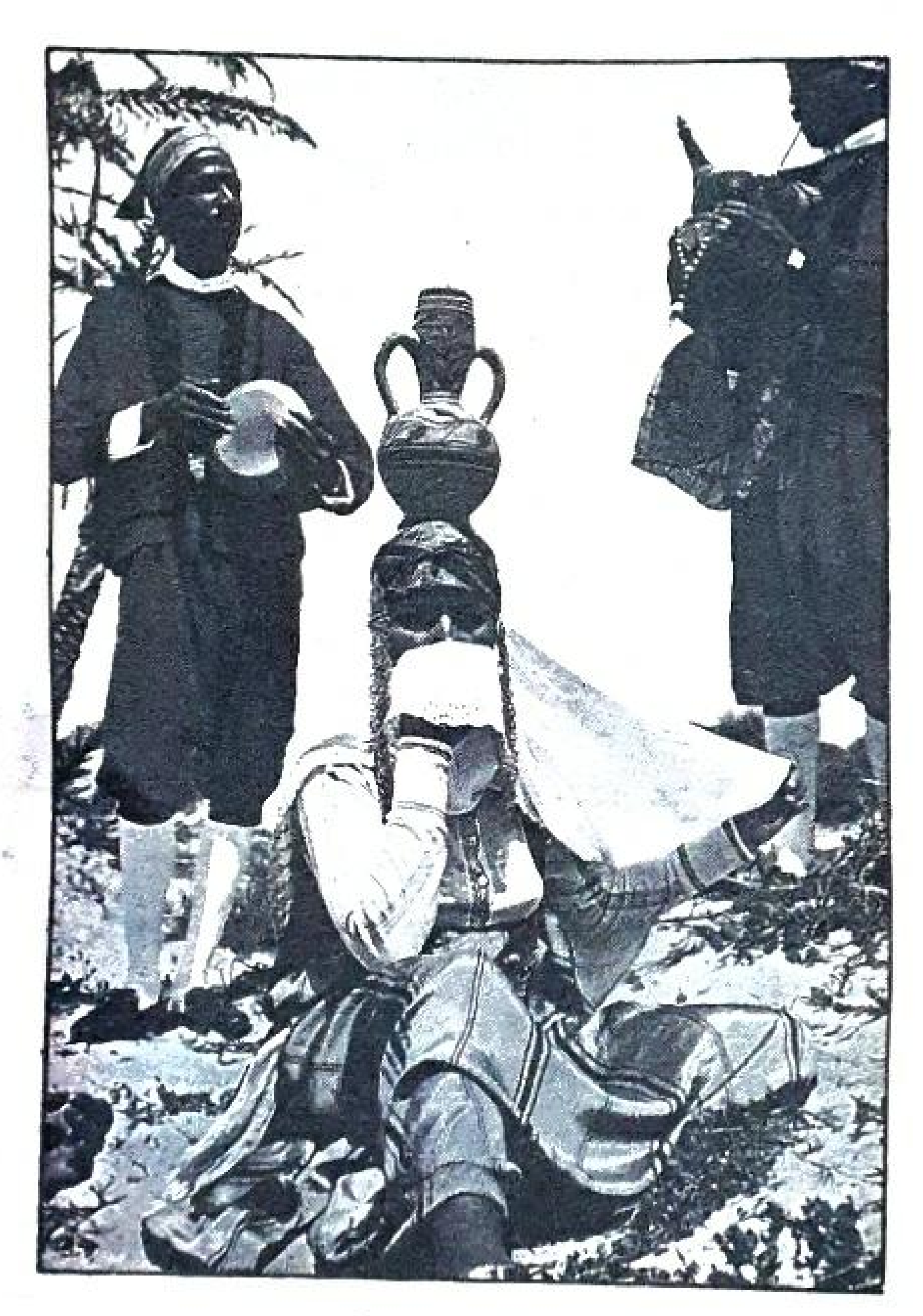
ماذا قررتم .. ؟ قلت :

- لا شيء .. فالجميع .. وليس الجميع بمعنى الكلمه .. أن الاكثريه رفضت الابحار بالسفينة .. لما يترتب عليها من اخطار .
- اخطار ؟ اخطار ماذا ؟ .
- ربما تصطدم ؟
- تصدم ؟ بالماء او الحوت ؟ البحر نظيف وليس فيه عوائق او أخطار !! .

- قلت : الجميع يرغب الاسواق لجمع الملابس والتحف والتسوق .. وهذا شيء غير مفرح بالنسبه للسفرات !
- قالت : ها .. ها .. اذا الى العاصمة تونس لنقضي فيها نهارا كاملا .. لاشباع رغباتكم .

لما وضع الاقتراح بالتصويت .. رفعت الايدي عالياً .. عاليا علامة الموافقة .. سكت .. اذ ليس من الممكن ان أقوم بتأجير سفينة سياحية للتجوال في البحر الابيض المتوسط !! بالسرعة الممكنة .. صعد الجميع الى الحافلة (الباص) وانطلقت بسرعة فائقة الى تونس وتم لنا ما طلبناه حيث قضينا النهار كله في التجوال بالشوارع والازقة والمخازن .. ثم عدنا الى الحمامات مساء . وبعد الاستراحة القصيرة دق جرس الطعام واتجه الجميع الى الصالة الراقية الواسعة وقد وضبت فيها موائد الطعام على أحسن توضيب وأنشغلنا بتناول وجبات الطعام التونسية الشهية مع المتبلات والفواكه والمرطبات !! عند خروجنا بعد انتهاء وجبة العشاء لاحظنا لافتة كتب عليها (الى زوارنا الكرام أنكم مدعوون لمشاهدة فلم سينمائي عن تونس .. مع حفلة كوكتيل) وبعد أنتهاء الفلم والحفلة الكوكتيلية خرجنا على أمل تلبية الدعوة من قبل أدارة فندق (الكونتيننتال) لمشاهدة حفلة راقصة .. الا أنها الغيت من قبل المدير العام لمجموعة الفنادق التونسيه والعالمية السيد الطاهر الفوراتي وكان سبب الالغاء . هو اعداد حفلة جيدة للاخوة العراقيين يحضر هو بنفسه اليها !! وفي هذه اللحظة جاء مراسل المدير يحمل بطاقة يدعونا فيها الى الصالة للاجتماع

بالسيد الفوراتي وكان في استقبالنا عند باب الصالة يحف بــه على اليمين واليسار موظفية ٠٠ مصافحا ومرحبا بنا أجمل ترحيب وبعد الجلوس في الصالة وزعت المرطبات ووزعت نشرات سياحية



الرقص الفولكلوري الشعبي التونسي

معدة من المكتب القومي للسياحة في تونس وبعدها نهض السيد الفوراتي والقى كلمته واليك نصها :

اخـــواني :

هذا يوم سعيد وجميل وساعة مباركة لاتصل بكم أخوتي في العروبة ۰۰ !خوتي في كل شيء ۰۰ أنا منكم وانتم مني ۰۰ أرحب بكم في بلدكم الثاني تونس الخضراء العربية ۰ اخواني ۰۰ كان من الواجب أن أكون في أستقبالكم في مطار بغـــداد ومطار تونـــس لاحتضنكم كأخوة غائبين عن بلدهم عادوا فرحين منتصرين بثورتهم ثورة السابع عشر من تموز المباركه وقيادتها الحكيمة ۰ الا أنـــه من المؤسف أن الطائرة المقررة لوصولي الى مطار بغداد تأخرت ۰ وهذا ما حال بيني وبينكم والتي لم تجعلني انال الشرف لاستقبالكم اما الان فأنا واخوتي الموظفين في خدمتكم وارجو أن تقدموا لـــي أقتراحاتكم وأكرر عذري وأقول اننا نعتذر عن التقصير لاننا ولاول مرة نقوم بمثل هذه السفرات بالنسبة للاخوة العراقيين ولم أعرف الطريقة التي نعاملكم بهـا ۰۰۰ !!

الا أن أحد الاخوان قاطعه وقــال :

لم يكن هنالك تقصيرا ۰۰ الا اننا نقول لدينا من بقية مـدة السفرة خمسة أيام سنقضيها هنا في مدينة الحمامات دون برامج معدة لتمضيتها ۰۰ نطلب مساعدتكم في أعداد برامج لهذه الايـام وأنتم أعرف ببلدكم منـا ۰

قـــال :

اني مستعد لاي خدمة أو طلب أو اقتراح ترونه .. ثـــم أردف قائـــلا :

أخوتي .. لقد الغيت السهرة الليلية للحفلة الفولكلوريـة الراقصة على أن تكون الليلة القادمة لاشرف بنفسي على تنظيمها وأعدادها .. ويقصد بذلك حفلة الرقص الفولكلورية التونسـية الذي أعدها تكريما للمجوعة السياحية العراقية .. ! ثم قال :

ستكون سيارات الشركة في خدمتكم الى أي بقعة في بلدكم العربي تونس وفي أي وقت ترغبون !!

صفق الجميع على مبادرته القيمة وكذلك للاسلوب اللائق الجميل الكامن فيه من الحب لاخوته العراقيين خاصة والعـــرب عامة .. ثـم جلس !!

وردا على أستقباله وكلمته قام أحــد الاخوة والقى كلمـة قصيرة نيابة عن المجموعة شاكرا له على حسن ترحيبه وأستقباله وللحفاوة البالغة التي لمسناها منه ودعا له بالتوفيق .

خرجنا مودعيه عند باب الصالة مصافحا واحــدا واحــدا وأتجهنا الى غرف النوم لان الساعة تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليـــل .

في الليلة التالية حضرنا حفلة الرقص الفولكلورية في صالة الرقص في الفندق ٠ وكانت روعة وأنسجام وأيقاع يأخذ بالالباب بينما أخذ بعض منا يلتقط الصور التذكارية والاخر هزته نشوة الرقص ودخل الحلبة وأخذ يرقص ويغني ٠٠ حتى منتصف الليل حيث أنتهت الحفلة وخرجنا الى غرف النوم على أمل القيام بسفرة سياحية صباحا ٠٠ وفي الصباح وصلت السيارة الخاصة بالمكتب السياحي الى باب (النزل) وبعد تناول الفطور هب الجميع متخذين مقاعدهم في السيارة ٠

انطلقت السيارة بسرعة باتجاه مدينة(قربص) وهي البرنامج الخاص لهذه الرحلة ٠٠ بينما غدا الجو باردا نوعما ٠٠ وعلى حركة السيارة المسرعة ٠٠ أنطلقت الاطيار المذعورة من صوت عجلاتها وهي تحلق في الجو بعيدا في الفضاء ٠ ولم نكن نرى على أمتداد البصر سوى المزروعات والحقول المرعة الخضراء وهي في سهول مترامية الاطراف ٠٠ وكانت تبدو على المنحدرات المؤدية الى تلك السهول منابع صغيرة وهي تنحدر ببطء نحو السهول ٠٠ ولم تكن طبيعة الارض جبلية في هذه المنطقة الواقعة بين مدينة الحمامات ومدينة (قربص) الواقعة في سفح جبل ٠

استمرت الحافلة مخترقة شوارع مشجرة باشجار الزيتون والبرتقال بينما أدار السائق المذياع ليستمع الى الاغاني التونسية

كانت المجموعة تطل من نوافذ السيارة علــى ما وهب الله تعالى الارض التونسية من خضرة سندسية ·· يتوسط هـذه الخضرة بيوت الفلاحين البيضاء والتي تلفت نظر الزائر اليها لجمالها ·· فنادرا ما يشاهد الانسان دارا قد طلي بلون يغاير اللون الابيض · فالبيوت التونسية كلها بيضاء وسط خضرة ·وقيل ان هـــذه الطلاء عادة متوارثة منذ تاسيس قرطاج من قبل الفنيقيين الذيـن كانــوا يطلون بيوتهم بالطلاء الابيض ، فاللون الابيض يعكس حرارة الشمس مما يجعل المساكن تحافظ علـى درجة حرارتها في الداخل ·· وبهذه المناسبة مناسبة طلاء البيوت ·· هنالك عادات اخرى يلاتزم بها الشعب التونسي متوارثه كما قلنا فالبلاد تعتمد في زراعتها على الامطار وينابيع المياه المتدفقة من الجبال ســقيا وشربا وهذه الينابيع بالنسبه للزراعة لاتسد حاجة البلاد مـن هذه الينابيع ، أما الفائظ من هــذه المياه فتروى بها بعض المزارع بطريقة الرش أما اذا حجبت السماء مائها عـن الارض أرســلوا أولادهم مجموعات ·· كل مجموعة تقدر بعشرين طفلا من ســن ٦ـ١٥ سنه تقريبا يحمل احدهم لعبة أطفال (خيال المآته) أو مـا نسميها نحن في عراقنا الحبيب (لعابه) وهي من القماش مثبتة على عمود يبلغ طوله مترا واحدا يرفعه الى أعلى كما شاهدت هـــذه العملية بنفسي في مدينة الحمامات وهـم ينشدون سائرين بـــين الازقه والشوارع منتقلين من دار الى دار ثم يقفون عنـد أول دار من الزقاق أو الشارع وهم ينشدون هــذه الانشودة الجمليــة وبصوت موحــد ··!!

الانشـــــــودة

امــــك تنكــــو شـــهلوله

انشـــــاء الله ترجــع مبلـــوله

وكلمة (تنكو) تعني محبوبه امها ••• وشهلوله (حبابه) تتكـرر هذه الانشودة عدة مرات حتى تخرج أم البيت وهي تحمـل بيدها قدح مملوء بالماء فتسكبه على رأس اللعبة ثم ينتقلون الى دار أخرى وهلمجر •• ومعنى سكب الماء على رأس اللعبة هو ان اللعبة تمثل الارض والماء يمثل المطر الذي سينزله الله تعالى على الارض ••• وتعتبر هذه الانشودة دعاء من الاطفال الذين لم يمسس الشــر قلوبهم فيستجاب دعائهم •• وبعد أن ينهي الاطفـــــال التجوال يتفرقون الى أهلهم لينتظروا أستجابة الرحمن عز وجل أستجابة دعائهم •• وماهي الا ساعة حتى تلبدت الغيوم المنتشرة وأبرقـت وأرعدت وأسقطت مياهها فسجد الناس لله تعالى شكرا ••

أنا لا اذكر قصة سمعتها •• ولكن هــذا ما رأيته وعايشته في مدينة الحمامات أثناء جولتنا فيها •

أما في منطقة القيروان جنوب البــلاد التونسية ، يخــرج الرجال المؤمنون الى العراء (البريه) ويصلون ويتلون الداعـوت ويقرأون القــرآن •• ليستجيب لهم الله تعالى وليرسل عليهـم السمــاء مدرارا •

نعود الى حافلتنا التي أخذت تزيد من سرعتها للوصول الى مدينه (قربص) وها نحن نخترق قريـــة صغيرة اسمها (سليمان) المشتهرة بزراعة الحمضيات كما نشاهد على جانبي الطريق سلال البرتقال المكشوفة لبيعها على المارين المستطرقين باسعار زهيـدة وقد أمتدت هذه السلال مسافة طويلة على جانبي الشارع بنسق جميل يلفت النظر وقد صفت على مدارج من اللوح ٠٠ كما يشاهد المار عناقيد البرتقال المعلقة كالقناديل عـلى عوارض متوازيه ٠٠ ولم ننس نصيبنا من هذه الفواكه وذلك عندما توقفت السيارة ٠٠ ثم واصلنا سيرنا الى مدينة (قربص) وأشاهد على بعد ضواحيها وبعض الدور المنتشرة على سفح جبلها وماهي الا لحظات حتى توقفت السيارة عند نبع (عين أقطر) وقد شيدت حول العين عـــدة دور سكنيه وفنـــدق وكازينو يستقبل زواره للتمتع بجمال الطبيعة ليوم كامل ويزود معدته بماء العين وتبعد عن مدينة قربص ثلاثـة كيلومترات تقريبا ٠٠ شربنا ومتعنا نظرنا بطبيعة أرض المنطقـة ثم واصلنا سيرنا الى المدينة بطريق جبلية ضيقة جدا وخطره حتى وصلنا المدينة التي تقع عند سفح الجبل ٠٠ تشتهر هذه بالاعمال الفخارية التي يمارسها أهل المدينة ٠

في مدينة (قربص) شارع رئيسي واحد تتفرع منه طريـــق ضيقة الى ضواحي المدينة ٠٠ وقد صفت على هذا الشارع المقاهي الشعبية وفي السفح المقابل للمدينة يقع مصح لمعالجة المرض ٠٠٠ وللنقاهة بواسطة تعليمات أطباء المصح حيث يقدمـــون للمريض العــــلاج الطبيعي ٠

مكثنا ساعتين متجولين في أسواقها ومحلاتها .. ثم غادرنا عائدين الى مدينة الحمامات مقرنا الرئيسي .. وقد أنطلقت الحافلة بسرعة في طريق ضيقة بمحاذات البحر الابيض المتوسط. هذه الطريق التي لاتكاد تكفي بالكاد لمرور سيارتين وقد ساورتنا المخاوف وقد تجمد كل واحد من المجموعة في مقعدة من الخوف. وقد خذلتهم قلوبهم .. وحال لون وجوهم .. وانحلت أجسامهم. وخفقت قلوبهم التي في صدورهم وتمنى كل واحد منهم لو لم يشارك في هذه الرحلة .. وكل واحد ينظر الى جليسه في المقعد ويتوسل منه العون ويحاول أن يظهر شجاعته وعدم خوفه .. اما بالنسبة لي فلم أبال .. لان هذا الممر لم يكن يوما ما أخطر من طريق جبال الألب او جبل كلمنجارو في أفريقيا او جبل (تايده) في جزر الكناري وقد تحليت أمامهم بالجرأة والاقدام كلما اقتربت الحافله من حافة البحر لتقربنا من حافة الهاوية السحيقة .. وقد أطمأنت قلوبهم عندما نهضت وصرخت بهم .. هيا صفقوا وأطمئنوا فقد أجتازت الشارع الضيق وهانحن نخترق الشارع المنبسط في السهول المترامية الاطراف .. وقف الجميع ليحقق قولي .. عندها هتفوا وصفقوا فرحين بالنجاة .. بينما كانت السيارة تخترق قرية (شبرز) ثم قرية (سليمان) وبعدها قرية (قلبية).

في الطريق توقفت السيارة أمام بناية كبيرة واسعة ثبتت على جانبي بابها برتقالتان كبيرتان من الفخار على غصن أخضر وتشير اللافتة (بناية تعليب البرتقال) ولن تفوتنا بالطبع مشاهدة

هذا المعمل فهي أستكشاف فريد ٠٠ قادتنا مرشدتنا السياحية التونسية السيدة (بختة) الى الباب الرئيسي لبناية المعمل مخترقين أكوام البرتقال المهيئة للتعليب وأكداس صناديق الخشب لحفظها ٠

يشاهد الزائر في هذا المعمل البرتقال المعبأ في صناديق الخشب الذي جلب من المزارع الاهلية الخاصة ٠٠ وقد لف حول هذه الصناديق العمال الذين يقدمون بدورهم في العمل لوضع محتويات الصناديق من البرتقال على ساحبة المعمل الاوتوماتيكي (القايش) ليوصله الى منطقة التنظيف ٠٠ فينظف من الغبار العالق عليه وكذلك من الشوائب اللاصقة به بواسطة فرشات ٠٠ مارا على ساحبة اخرى ليصل الى المصفى وهذا بدورة يقوم بعزل وفرز البرتقال حسب أحجامه ٠٠ ثم تفترق كل مجموعة الى ساحبة أخرى مارة وسط العمال الذين أصطفوا حول الساحبة على مدى مسافة (القايش) ليقوموا بجمع وتعبأة البرتقال في صناديق للتصدير او الاستهلاك المحلي ٠٠٠!!

اما أذا أريد الاحتفاظ به لمدة طويلة فالفائض منه يدهن أو أوتوماتيكيا بسائل النفط الابيض ليخزن ٠٠ ويصدر في الوقت المناسب وهذا النفط يحافظ عليه من التسوس والتعفن ٠ أما أجرة العامل اليومية فهي ١٫٥٠٠ دينار (دينار ونصف) لساعات ثمان ٠

خرجنا من المعمل وقمنا بنزهة في البستان المجاور للمعمل لساعه شاهدنا طرفا من طريقة جني البرتقال وطرفا من الريف التونسي ولم نشعر بتعب او ملل من اللف والدوران !! غادرنا المعمل ٠٠ وانطلقت السيارة متجهة الى مقرنا في مدينة الحمامات وكانت الساعة تشير الى السادسة الا ربعا مساء ٠ وعند الوصول نزل الجميع الى غرفهم للراحة والاستجمام ٠٠ وفي الساعة الثامنة كنا على موائد الطعام لتناول وجبة العشاء التونسية اللذيذة وذلك في الصالة الذهبية مع انغام الموسيقى المنبعثة من الغرفة الموسيقية ٠٠ ولايمكن وصف هناءة المجموعة وطمأنينتها لهذه الرحلة التي قامت بها المؤسسه العامه للسياحه (رحله العمر) في هذا الجو المفعم بالفرح والسرور وسط هذا الريف ووسط تلاله الخضراء وسهوله الغزيرة ٠٠ فان مناظر الحياة الريفية الهادئة وانت تطل عليها من نوافذ غرفتك تستقر في أذهانك وتغرس نضارتها في قرارة قلبك ٠ فبعد أن ملئت البطون خرجنا لمشاهدة تمثيلية تلفزيونية في قاعة (النزل) بينما اخذ البعض الاخر يتثائب وقد لف النعاس عينية وقد !تجه نحو غرفته ٠

في صباح اليوم الثاني قضيناه في التجول في مدينة الحمامات التي هي مدينة ساحلية تصل اليها بالسيارة أقل من خمسة دقائق او مشيا على الاقدام وبها بلاجات جميلة وأسواق ومحال ٠٠ وقد أكتسبت شهرتها بفضل موقعها الفريد على ساحل البحر الابيض المتوسط بفضل الاستحمام بماء البحر ٠٠ وبفضل بناياتها الجميلة المحلات بالقباب والابراج ٠٠ وأسقفها التي على شكل الخيام على

طراز قصور المغول والرومان ٠٠ وعلاوة على ذلك التحف بمدينة الحمامات الحارات والازقة أذ تحتشد فيها محال فاخرة لكل ما غلا ثمنه وخف او لم يخف حمله من الانتيكات والمقتنيات ٠

أمضينا ساعات عدة رجعنا بعد ذلك الى الفندق وعند دخولي الى غرفتي وجدت بطاقة دعوة موجهة لي من أحد الاصدقاء التونسيين لحضور حفلة زواج تونسية وفي الوقت المحدد وجدت الصديق بانتظاري في صالة الفندق نهض ورحب بي ٠٠ وطلب مني مرافقته الى الحفلة ٠٠ الا اني أعترضت عليه وطلبت منه راجيا أن يشرح لي طريقة الزواج في القطر التونسي الشقيق لاحتفظ ببعض المعلومات قبل الدخول الى الحفل ٠ الا اني رجوته الجلوس في قاعة الشاي ليشرح لي بعض المعلومات الاولية عن الزواج وتناول المرطبات قال :

- أسمع !! قلت :
- هل تحب أن أشرح لك او اعطيك فكرة عن الزواج في بعض الدول التي زرتها وتجولت فيها ؟ ٠
- نعم ٠٠٠ وكلي أذن صاغية !

قلت :

أن طقوس الزواج في العالم عديدة ومختلفة كل حسب عاداته وتقاليده ٠٠ ! فالزواج في (جزر هاواي) ٠٠٠ حيث يذهب العريس الى بيت عروسه ويجرها من شعر رأسها الى أن يوصلها الى الكنيسة ٠

اما الزواج في جزر (كوك) من جزر المحيط الهادئ ·· فتسير العروس الى الكنيسة على بساط من الادميين وحسب تقاليد تلك الجزر يستلقي شباب القرية ·· أي قرية العروس على الارض ووجوههم الى أسفل وتسير العروس على ظهورهم حتى الى مكان الاحتفـــال ·

قلت : الحمد لله لم تكن بالعكس !!

أما · الزواج في (برما) فتطرح العروس أرضا أثناء الاحتفال ويقوم رجل عجوز بثقب اذنيها بينما تتلوى العروس وتصرخ من الالم ·· بينما تعزف الموسيقى الشعبية بأصوات صاخبة تطغي على صرخات العروس ·

ولو شاهدت الزواج في جزيرة (جاوه) مـن اندونوسيا ··· وانت تشاهد العروس التي تقوم بصبغ أسنانها باللون الاسود ثم تقوم بغسل قدمي عريسها أثناء الاحتفال كدليل علـى خدمتـه طيلـــة حياتهـا ! ·

أما أبسط طقوس الزواج واقلها تعقيدا فهي الطقوس التي تمارسها قبيلة (نيكاريتو) جنوب المحيط الهادي ·· ففي تلـك الجزيرة يذهب الخطيبان الى عمدة القرية فيدق هـذا العمدة رأسيهما ببعض وبهذا يتم الزواج ويأخذ العريس عروسه الـى بيتـــه ·

هذه نماذج من طقوس الزواج في بعض بقاع عالمنا الكبير ..
أما الان فجاء دورك لتشرح لي طقوس الزواج عندكم في تونس قبل ان نغادر الفندق الى محل الاحتفال .!!

قال : أما طقوس الزواج عندنا من البداية حتى النهاية فهي:
يرسل والد الخطيب أعلام لاهل البنت للقدوم اليهم لخطبة ابنتهم (أو كما نسميها نحن في العراق (مشيه) وفي اليوم المحدد يتوجه والد الخطيب ووالدته وبعض الاشخاص من المقربين والمعارفين الى بيت أهل العروس .. فان وجدوا الباب مفتوحا وأهل العروس واقفين لاستقبالهم فهذا دليل على الموافقة .. وأن وجدوا الباب مغلوقا يعودون من حيث جاءوا ويعتبر العريس أو الخطيب غير مرغوب فيه ... قال :

ولنفرض بان العريس مرغوب فيه ففي ليلة الخطبة تجتمع العائلتان في بيت العروس وتعلن الموافقة والخطبة بقراءة سورة الفاتحة من القران الكريم ويتفقون على موعد الملاك (الشبكه) وفي اليوم المحدد للملاك تجتمع النساء من العائلتين في بيت العروس ليحتفلوا بالمهر ويشاهدون ماسيقدمه العريس من هدايا تعرض أمام الحفل وهي تتمثل في سوار من الذهب والقلادة والخاتم والحنة والعطورات والملابس .. كما يقام أحتفال في الرقص والاغاني والاهازيج لهذه الحاجيات .. وبعد انتهاء السهرة يذهب كل الى بيته !!

بعد ذلك يغتنم العريس الاعياد والمواسم والمناسبات ليقدم لعروسه الهدايا ٠٠ وعندما يتم الاتفاق على تحديد يوم الدخلة عند ذلك تدعو عائلة العروس اصحابها المقربين وأقربائها للاحتفال بحفلة العرس في دار العروس وهذه الحفلة تدوم مدى أسبوع في دارها ومراسيم الاحتفال تتم على الوجه الاتي :

١ ـ حفلة تجميل العروس ٠
٢ ـ حفلة الحمام ٠
٣ ـ حفلة الحنه ٠
٤ ـ حفلة الجهاز ٠

وخلال هذه الايام تنشد النساء أغاني شعبية وترقص على أنغامها ٠٠ ومن الاغاني الشائعة والتي تتردد على السنة المحتفلين وخاصة عند الزفة الى بيت العريس هذه الاهزوجة :

يا مرحبا باولاد سيدي
طلوا جماعه
وسيوفهم لماعه
يا مرحبا باولاد سيدي
طلوا عشيه
سلوا سيوفهم ذهبيه
أو صدورها في الصدارة
يا مرحبا باولاد سيدي
شرقت الانوار
وعروسنا خيار الدار

شـــيعوها فوق كعـــود (١)
زالف ممدود
وشـــيعوا بتنا بالبارود
يا مرحبـا باولاد ســيدي
صدورها فوك سرير
محارمها مـــن حرير
يا دار بابه تبقـوا على خير

بعد ذلك تزف العروس الى بيت زوجها وتدخل غــرفة زوجها (الدخله) ويزف اليها عريسها وتغلق الباب خلفه وينتظر أهله والمقربون والعوائل المدعوة حتى يخرج العريس من غرفته حاملا بيده شمعة مضاءة او قنينة عطر ٠٠ وهذه علامـة عفـاف العروس ٠٠ ثم يخرج الضيوف والمرافقين للعروسين مودعـين بمثل ما استقبلوا به من حفاوة وتكريم . وكم كان فرح اهـــل العروسين والحاضرين عندما علموا أن بين ظهرانيهم من يشاركهم أفراحهم شقيق من القطر العراقي ٠٠٠ رحبوا بنا أجمل ترحيب وهم يصافحوننا ويودعوننا حتى نهايه الشارع !! كذلك ودعـت صديقي التونسي وتوجهت فورا الى محـــل اقامتي في فنـــدق الكونتننتال في مدينة الحمامات وقد قاربت الساعة الحـــادية عشر ٠٠٠ ودلفت الى غرفة النوم وأستلقيت على سريري أستعيد

(١) الكعود ــ الجمل ٠

بذاكرتي هذا النموذج من الزواج المثالي ٠٠٠ وقد لمست بنفسي هذه الفرصة الثمينة في هذه الدعوة النموذج من التقاليد العربية العريقة ٠٠ حتى سرحت بغفوة أستمرت حتى طلوع الشمس ٠٠!!

في نحو الساعة السابعة والنصف صباحا أرسلت مرشدتنا السياحية مساعدها أبلاغنا التهيأ للعودة الى الوطن ٠٠٠ فبعد أنتشار خبر العودة كانت ضجة المجموعة قد ثارت ٠٠ وأخذ كل واحد منهم ينقل حقائبه من غرفته الى محل التجمع أمام الفندق٠٠ وكان الضجيج يزداد ويتعالى كلما أقتربت ساعة الرحيل المحددة ٠٠٠ وقد تجمعوا في باحة الفندق ٠٠ وراحوا ينظرون وينتظرون بقلق وكأن كل واحد منهم قد فارق وطنه سنين عديدة ٠٠ وقد تمثلت بقول الشاعر :

كم منزل في الارض يعشقه الفتى
وحنينه ابدا لاول منزل

قلت : أيها السادة لا تقلقوا !! وسأل أحد المجموعة :
- في أي ساعة نغادر المدينة الى المطار ؟ فأجبته :
- في الساعة الثامنة والنصف !!
- وأين المرشدة ؟
- تتناول فطورها !!

وفي هذه اللحظة قد بلغت الساعة السابعة والنصف وراح الزملاء ينظر بعضهم الى بعض وقد أرتسمت على وجوههم انفعالات مختلفة .. وتحرك عقرب الساعة خمس دقائق . وقال عادل :

– لم يبق سوى خمسين دقيقة لموعد أقلاع الطائرة .. فهل هناك أمل في أن تحضر المرشدة والسائق لنقلنا بالسرعة المستطاعة ؟!

وهز أحدنا كتفيه وقال من يدري ..؟ ثم أردف :
ولعل الطائرة ستهبط في الفندق لتنقلنا !!
وقال أخر :
– لا بد أن تكون طائرة هليكوبتر ؟

وفي هذه اللحظة بينما كنا منشغلين بجمع الحقائب دوى عتاف داخل الفندق فوثبنا واقفين وقد تركزت أعيننا على بابه وفي اللحظة التي بدأت الساعة فيها تعلن السابعة والربع ظهرت المرشدة وخلفها السائق وتقدمت قائلة :

– ايها السادة الى الحافلة !! هرع الجميع وأستقر كل واحد منهم في مقعده ودار السائق محرك السيارة وأنطلقت بسرعة جنونية الى المطار .. حيث أنزلت الحقائب وأرسلت الى الطائرة العراقية الجبارة تنقلنا من قطر عربي الى قطر عربي اخر هو قطرنا العراقي الحبيب .

السفرات السياحية مفيدة بحد ذاتها حيث انها تخلق في نفس السائح أحاسيس جديدة ان كانت هذه السفرات داخل البلاد أو خارجه .. فتعلمه معنى الصبر ووزن الامور وحسن تصريفها .. فهو لا يستسلم لليأس مهما ساءت الظروف بل يجب أن يبقى دائما في نشاط مستمر وحيوية دافقة ... لانه يمتزج مع الطبيعة المرحة ويسعد بمشاهدتها ومشاهدة طباع البشر والتعرف عليهم من خلال أختلاطه بهم ، فهناك المتاحف ومسارح الموسيقى وملاعب الرياضة وعند العودة لا بد له أن يحب الحرية ويؤمن بعظمة وطنه وأمته ويخلص لها ويتفانى في سبيل رفع سمعتها .

يكتشف السائح أشياء كثيرة عند قدومه الى تونس ففيها الطبيعة اليانعة الخضرة والسهول والجبال والواحات والقرى البربرية ، كذلك المياه المعدنية في (قربص) والحمامات المعدنية .

في تونس تقاليد وعادات وأنماط عيش عربية بحتة هي جزء من وطننا العربي الكبير من محيطه الى خليجه .

بعد وصولنا الى بغداد عاصمة الرشيد نكون قد أنهينا سفرتنا الى قطرنا العربي (تونس) ... ان المكان لا يتسع لوصف هذه الرحلة .. رحلة العمر الممتعه المتعددة الجوانب المختلفه الاشكال ... !!

ان هذه السفرة أزدانت في كل مكان بشيء متميز ومتخصص يمكن أن يكون جديرا بالزيارة والمشاهدة .. فما أجملك ياتونس وما أجمل رقصك الشعبي وما أروع شواطئك وشعبك الامين .

هكذا وأنت تطل عليها من نافذة طائرتك .. ذات الربيع الدائم والارض الخضراء المرعة والازهار المبثوثة فهناك أشياء جديرة بالاكتشاف والتعجيب والاستمتاع .

وما أجملك يا (بنزرت) وما أهدأ شعبك وما أجمل حدائقك وما أروع شوارعك وشواطئك وأمواج بحرك الهادر .

أنك تستطيع أن تحصل على هذه المتعة وهذه التجربة في كل وقت وفي كل شيء كمحب للسياحة أو كمحب للفنون أو محب للطبيعة المتنوعة ذات الفتنة والجمال ... أو مستمتع بالاطعمة والمأكولات الشهية الفاخرة أو متأمل مبتسم للفنون الرقيقة الناعمة .. فاكتشف بنفسك هذا التنوع والتغيير في وطنك العربي الكبير وأنت موضع الترحيب .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٦٤٥ لسنة ١٩٨٠

السعر ٤٠٠ فلسا

مطبعة وأوفسيت المشرق ـ بغداد ـ هاتف 8881740